الطرائف



أحمد خالد

الشركة الوطنية
للنشر والتوزيع
الجزائر

الشركة
التونسية للتوزيع
تونس

طرائف الأدب العربي

سلسلة أدبية يشرف عليها الأستاذ عبد الوهاب بكير

ابن هانئ

تأليف أحمد خالد

نشر

الشركة التونسية للتوزيع   والشركة الوطنية للنشر والتوزيع - الجزائر

الشركة التونسية للتوزيع والشركة الوطنية للنشر والتوزيع - الجزائر

ماي 1976



ان الشركة التونسية للتوزيع والشركة الوطنية للنشر والتوزيع بالجزائر دائمتا الحرص على المساهمة في احياء تراثنا. فعزمتا على نشر مجموعات من الأدب العربي القديم والحديث لتجعلا أهم ماثر ادباء المشرق والمغرب في متناول جميع طلاب الثقافة من مربين وتلامذة وطلبة وغيرهم ممن يرغبون في المزيد من الاطلاع .

وبعد استشارة نخبة من الأساتذة قررت الشركتان اصدار سلسلة منتخبات من مآثر اعلام الأدب العربي توفّر خاصة لتلامذة التعليم الثانوي وطلبة كلية الآداب رصيدا غزيرا من النصوص يساعدهم على الدرس ويساعد أساتذتهم على التدريس .

وقد صدّر كل جزء من هذه المنتخبات بمقدمةتمهد السبيلإلى دراسة النصوص دراسة محكمة إذ تعرّف بالمؤلف وعصره وبيئته ومآثره. ثم ان هذه النصوص رتّبت على نسق يشير اشارة واضحة إلى مختلف نواحي شخصية المؤلف وتفكيره وفنه. وقدّم كل منها تقديما وجيزا يساعد على فهمه فهما جيّـــدا .

وقد حرصنا على أن تشكل النصوص شكلا كاملا. وذلك لتيسير مطالعتها واجتناب ما قد يقع فيه القارىء من غلط وسوء تأويل .

واكتفينا من الشرح اللغوي بما هوضروري حتى يكون خفيف الوطأة، فاقتصرنا على تفسير الغريب من المفردات والعبارات والأعلام وكل ما لا يمكن فهمه من السيـــاق .

واما الشرح الأدبي فقد أعرضنا عنه قصدا حتى لا نسد في وجه الطلبة والتلاميذ باب الاجتهاد الشخصي ،ولا نمنعهم من البحث والتأمل، ولا نحرمهم التمتع بلذة الاكتشـــاف .

ورجاؤنا أن تساهم « طرائف الأدب العربي » في خدمة تراثنا مساهمة ناجعة . وأن يستفيد منها كل من له رغبة في الأطلاع والتثقف

الناشران

القسم الأول

ابن هانئ

حياته

التعريف بابن هانئ

هو أبو القاسم محمد بن هاني بن سعدون الأندلسي الإفريقي، شاعر مشهور أمّ بلاط بني حمدون أمراء المسيلة عاصمتهم في الزاب بالجزائر. ثم عاش في رعاية المعز لدين الله الخليفة الفاطمي الرابع بإفريقية في بلاطه بالمنصورية وهي المدينة التي أسسها والد المعز اسماعيل المنصور سنة 327 هـ = 939 م إعلاناً لانتصاره على أبي يزيد مخلد بن كيداد صاحب الحمار. وهو رجل من الخوارج تمرد على الفواطم سنة 326 هـ = 938 م.

ويرجع نسب ابن هاني إلى قبيلة الأزد اليمنية التي شايعت آل البيت منذ نشوب الخلاف الدامي بين علي ومعاوية. ويقال إن نسبه الإفريقي (التونسي) يرتبط بنسب أمير من جلة أمراء أسرة المهلبين هو يزيد بن حاتم حاكم إفريقية من قبل بني العباس من سنة 155 إلى سنة 171 هـ. وقد عرف ذلك الأمير بسياسته الحازمة فأرجع الأمن إلى البلاد ونظم إداراتها.

يحيط بحياة ابن هاني كثير من الغموض فتبدو كأنها لغز لقلة المعلومات عنه في المصادر السنية والإسماعيلية على حد السواء، إذ تكاد تقتصر على وظيفة الشاعر الرسمي في بلاط المسيلة ثم في بلاط المنصورية، وتسكت المصادر عن حياته الخاصة مع عياله وعن لهوه. ولا تنقل شيئا من شعره المنظوم في الأندلس قبل عبوره مضيق جبل طارق إلى المغرب. ولا يستبعد أن يكون

انتماؤه إلى فرقةِ الإسماعلية المُغالية في التشيُّع سبب إحاطة شخصيته ـ على شُهرتها ـ بِحِجابٍ من الغُموض.

وُلِدَ الشاعرُ في إشبيليةِ بين سنتي 322 هـ و326 هـ في عهد النَّاصر لدين الله الخليفة الأُمويّ الأَول الذي امْتدَّ بِهِ الحُكم في قُرطبة نصف قرن من سنة 300 إلى سنة 350 هـ (912 ـ 961 م). ويبدو أنَّ والد الشَّاعر غادَر مسقط رأسه بإحدى قُرى المهديَّة بإفريقيّة ليستقرّ في إشْبيلية بعد إقامة في قرطبة صادفتْ إعلان الأَمير الأَمويّ النَّاصر عن انتصاب الخلافة في شبه الجزيرة الإسبانية. وفي نفس تلك المدّة جهر عُبيد الله المَهدي الخليفة الفاطميّ الأَول في القيروان بنواياه التّوسعيّة وبرغْبَتِهِ في الاستيلاء على عَرش بني مروان بقرطبة.

ويبدو أَنَّ هاني والدَ الشّاعر ـ وهو أديبٌ مثله تجلّتْ مواهبُه في الشعر والفلسفة ـ من الدُّعاة الذين كُلِّفوا بِنشر الدَّعوة الإسماعيليّة في الأَندلس مُذْ تأْسِيس الخلافة الفاطميّة سنة 297 هـ. وممَّا يحملنا على افتراضِ انتمائهِ إلى الدَّعْوَةِ الفاطميَّة ذلك التَّكْوِينُ الثّقافِيُّ المذهبيُّ الحاصل لابنِه الشَّابّ مُحمّد فِي إشْبِيلِيةِ ثُمَّ فِي قُرْطُبَةَ وَأَلْبِيرة. وهو تكوينٌ إسْمَاعيليٌّ وفلسفيٌّ إشْرَاقِيٌّ تظْهر مُخلّفاتُه فِي دِيوانِه، وتدُلُّ على عمْقِ تأثُّرِ الشّاعِرِ بِديْنك النَّوْعيْن من المعرفة. فلا يُسْتبعد أن يكون والدُه هو الذي لقَّنهُ مذهب السَّبْعيَّة ومبادئ الفلسفة الفيضيَّةِ في بيئةٍ سُنّيَّةٍ مَالكيَّةٍ لا تُبِيحُ الجهْرَ بالتّشيُّع ولا ترتاح للفلسفة.

تثقّف محمّد بن هاني فِي زمن ذيوع النّظريّات العقلانيّة الّتِي لهج بها المُعتزلة، وفي مُدّةِ رواج الآراء الماورائيّة التي بثّها

الفيلسوف القرطبي ابنُ مَسَرَّة. وكان بها قريباً من المعتزلة ومن الباطنيَّة الإسماعيلية. وذلك منذ انتصبت في الأندلس خلافةٌ سنيَّة مالكيَّة أقامها عبد الرحمان النّاصر ليتحدّى بها الخلافة العبّاسيَّة المتداعية في المشرق والخلافة الفاطمية الفتيَّة في شماليّ إفريقيا. ولمّا كانت المالكيَّة مذهب جُلّ أهل الأندلس المتمسّكين بالسُّنَّة فإنَّهُمْ مقتُوا الفلسفة وقاوموا أهل البِدع. ولِفَرْط تعصُّب عديدٍ من فُقهائِهِمْ فإنَّهُمْ أَمَرُوا بإحْرَاقِ كُتُب ابن مَسَرَّة في شوارع قرطبة. وفرضوا عليه الهجرة فخرج إلى افريقية ثمّ إلى المشْرق لِلْحجّ فأقام في تِلْك البِقاعِ مدَّة حتّى سكنت الخصومة فعاد إلى موطنه.

وفي إلبيرة ثمّ في إشبيلِيَة معقلِ بَنِي الحجَّاج اليمنيّين حُماة بني هاني جهر الشّاعر الشّاب بتشيُّعه إلى الإسماعيليَّة في بيئة مناهضة لبني أميَّة قبل أن تخضع المدينتان للسُّلطة المركزيَّة بقرطبة؛ فلمّا تغيَّرَ الوضع السّياسيّ فيهما لم يسلم من المضايقات رَغْم بقائه في حمايةِ بني الحجَّاج فشدَّ عصا التَّرْحالِ نَاجِياً بنفسه من أعداء «نقموا قديم تشيُّعِهِ» إلى عُدوة المغرب حيث سطع نجم الدولةِ الفاطِمِيَّة الجديدة بعد أن قضى الخليفة المنصور على الثّائر الخارِجِيّ أبي يزيد مَخْلد بن كيداد المعروف بصاحب الحمار. وفي «المعزّيات» بيت شعر يكشف به ابن هاني عن سبب خروجه من الأندلس، وهو قوله:

«ومَا نقَمُوا إلاَّ قديم تشيُّعِي ... فنجَّى هِزبْراً شدَّهُ المُتَدارِكُ»

ويَبْدُو أنَّ الشَّاعِر عبَرَ البحْر إلى المَغْرِب سنة 347هـ لمَّا بَلغ القائد جوهر بجيش الفواطم فاس وسبْتة والمحيط الأَطلسي.

ومُنْذُ ذلك الحين انتقل ابن هاني إلى طورٍ جديدٍ في حياته الشعريَّة. وهو ما نتبيَّنه من خلال قصائده المعروفة. أمَّا الطور الأوَّل الأندلسيُّ فلا أثر له في الدِّيوان. لقد اضْطلع بوظيفة شاعر رسميٍّ متعصِّب للفواطم وقوَّادهم وَوُلاتهم فظهر للنَّاس بِقريضه داعياً اسماعيلياً وإنْ كانَ يعيش بما تدرّ عليه مدائحه من هِباتٍ وينالُ من المعزِّ خاصَّة أسْنى العطايا.

وعند أميرَيْ المسِيلة بِالزَّاب الجزائريِّ الأخويْنِ جعفر ويَحْيى ـ والأوَّل أخو المعزِّ من الرَّضاعة ـ حظِيَ الشَّاعر باستقبال طيِّب. ثمَّ انتقــل إلى بلاط المنصوريَّة بإفريقيَّة حيث لمع شعراء حاذقون مثل الفزاريِ وابنِ الإياديِ فتعلَّق بالمعزِّ وتغنَّى ببطولته وغالى في مدحه بصفات يُقِرُّها المذهب وينكرها أهلُ السُّنَّة.

ورغم هذه المعلومات تظلُّ جــوانبُ أخرى عديدةٌ من حياة ابن هاني غامضةً. حتَّى ظُروفُ موته فقد اختلفتْ فيها الرِّوايات فلا ندري حقًّا أآغتالهُ أعداؤُهُ بإيعاز من بني العبَّاس وبني أمَيَّة أم أنَّه ماتَ موتاً طبيعيًّا بتخمةٍ بعد أن أكل وشرِبَ وباتَ عاريا وهو في بَرقة بطرابلس الغرب.

واختُلف أيضا في سنة وفاته. لكِنْ في الإمكانِ التَّوَصُّل إلى ضبْطِها. يقول ابنُ خلدون في كتاب «العبر» وأبو الفداء في تاريخــه وابن الأثير في «كامله» إنَّ ابن هاني كان يرافق المعز في رحلته إلى مصر، فلمَّا وصل إلى برقة قتلهُ الأعداءُ غيلــةً. ويقول ابن الخطيب في «الإحاطة» إنَّ ابنَ هاني توجَّه إلى مصــر ليلتحق بالمعزِّ المقيم بها آنذاك. فلمَّا وصل إلى برقة سكر ونام عريانَ و كان البرد شديدا فأفلجَ ومات في سنة 361 هـ. ويذكر ياقوت الحموي في «معجم الأُدباء» أنَّ الشَّاعر وُجد مُلْقًى في

إحدى سواني البَلد مخنوقا بتكّة سَراويله. وأنّ وفاته كانت سنة 362هـ. ويجمع ابن خلّكان في «وفيات الأعيان» بين روايتي ابن الخطيب وياقوت ولا يُرَجّحُ إحداهما على الأخرى.

وَيُفْهمُ مِنْ بيت وَاردٍ في القصيدة «ما شئت» وهو قوْلُه:

«ها إنَّ مِصْرَ غداةَ صِرْتَ قطِينها أَحْرى لِتحْسُدها بِك الأقطارُ»

أنَّ المُعـزَّ يُقيمُ في مِصْـر. وَمِن الثّابِتِ أنَّهُ وَصَل إليها سنة 362هـ. فغيرُ مُمْكِنٍ أنْ يكون الشّاعر معه في طريقه إليها. ولِـذا يستحيلُ أن تكون وَفاتُهُ في سنة 361 هـ. بل في سنة 362هـ على الأقل بُعيْد وُصولِ الخليفة المعزّ إلى القاهرة. ويُفْهم من قصيدة أخرى بعث بِها الشّاعِرُ إليه في مصر أنه كان ـ آنذاك ـ مع عِيَالِهِ فِي الزّابِ بالجزائر. وفي ذلك دليلٌ على أنّهُ التحق مَرّة ثانية بِبَلاط بني حَمدون بالمَسيلةِ في ظروف خروج المعزّ إلى مصر وفي المُدّةِ الأولى من إقامَتِه بها. ثُمّ انقطعت أخبارُهُ (راجع في المُنْتخبَاتِ «لديْك جنود الله») حيثُ يقــول:

«وَإنّي وَإنْ شطَّ المَزارُ لراجِعٌ إلى وُدِّ قلْبٍ فِي ذُرَاك مُخيِّمِ»
«ولولا قطِينٌ فِي قَصِيٍّ مِنَ النّوَى لمَا كان لي فِي الزّابِ مِنْ مُتلوَّمِ»

عقيدة الإسماعلية

عَلِمْتَ من قَبْلُ أنّ ابنَ هاني شاعرُ الفرقة الإسماعيلية التي ينتمي إليها الفاطميّون فيكتسي شعره صبغة سياسيّةً عقائديّةً؛ فقد تغنّى فيه بمناقب الفواطم واعتبرهم منقذين للإسلام وتوعّد بني العبّاس وبني أميّة واعتبرهم مغتصبين للخلافة منحرفين عن الدّين. فما هو بإيجاز المذهب الإسماعيلي الذي

اعتنقه ابن هاني وتحمّس له بتسخير جُلّ قصائد الدّيوان للدفاع عنه ونشره؟.

يعتقد الشّيعة أنّ الإمامة مثل النبوّة منصب إلاهي. إلاّ أنّهم وضعوا الإمامة في المرتبة الثّانية بعد النّبوّة التي خُتم دورُها بمحمّد صلوات اللّه عليه فجاء بعدها حسَب اعتقادهم دور جديد سمّوه الإمامة.

والإسماعيليّة – وهم الشّيعة السّبعيّة – فرقةٌ تشبه فرقة الاثنَى عشريّة في تشيّعها المتطرف إلى آل البيت. وتتّفق معها في سلسلة الأيمّة إلى الإمام السّادس وهم عليٌ فالحسن فالحسينُ فعليٌ زين العابدين فمحمّد الباقر فجعفر الصّادق. وقد ظهر الخلاف بين الفرقتين عقِب وفاة الإمام إسماعيل فجأة في حياة والده جعفر الصّادق الذي عيّنه إماما سابعا ليخلفه. فلمّا مات له اسماعيل نقل خلافة الامامة إلى ابنه الآخر موسى الكاظم فبايعه فريق من الأشياع واعتبروه إمامهم السّابع. وانتهوا في سلسلة أيمّتهم إلى الإمام الثّاني عشر وهو محمّد المهدي بن الإمام الحسن العسكريٍ الذي اختفى فجأة يوم وفاة والده الشّاب سنة 260 ه‍. فهؤلاءِ هم الشّيعة الاثنا عشريّة.

أما الإسماعيليّة – وهي نسبة إلى اسماعيل بن جعفر الصّادق – فإنّهم انحازو إلى هذا الامام المُتوفى في حياة والده، واعتبروه إمامهم السّابع، ونفوا خبر موته، وزعموا أنّه تستّر، وأنّه «القائم» بمعنى «المهديّ المنتظر» الذي يظهر في آخر الزّمان ليملأ الدّنيا صَلاحاً وعدْلاً كما مُلئت من قبْلُ فسادًا وجوْرًا. وأقرّ فريق

آخر بموت إسماعيل واعترف بإمامة ابنه محمّد بعد جدّه جعفر الصّادق المتوفّى سنــة 148 هـ = 765 م. وهؤلاء هم المباركيّة وإليهم ينتمي القرامطة الذين قاوموا الفاطميّين في الشّام وحاصروهم في القاهرة كما سوف تعلمــه.

ويختلف الشّيــعة الإمامية الاثنــا عشرية والشّيعــة السّبعية (الإسماعيلية) في رجعة الإمام فترى الفرقة الأُولى أنّ الرجعة لم تحدث بعد مُنذ غيْبةِ الإمام محمّد المهدى بن الإمام الحسن العسكري سنة 260 هـ في حين ترى الفرقة الثّانية الإسماعليــة ـ وإليها ينتمي الفاطميّون ـ أن الأَيمّة من إسماعيل الى عبيد الله المهدي رأس الفواطم ـ وهم ثلاثة : عبد الله وأحمد والحسين كانوا مستورين فلم يظهــروا لضعف شوكتهــم. والسّتر عند الإسماعيلية ليس بمعنى الغيبة عند الاثني عشريّة. ولما اتّسع نطاقُ الدّعوة الفاطمية في المغرب بقدوم أبي عبد الله الشّيعي سنة 280 هـ = 893 م وتكاثر عدد المُنْضوين تحت لوائه خصوصا من قبيلة كتامة واستقرّ أمْرُهُ برقّادة بعد أن قضى على مُلْكِ بني الأغلب سنة 269 هـ ظهر عبيد الله المهديّ وتسلّم مقاليد الحكم بالقيروان وكان فيها أول خليفة فاطميّ.

وللإسماعيليّة غايتان: إحداهما ظاهرة وهي التّوفيق بين الدّين والفلسفة إذ قالوا في رسائل إخوان الصّفاء : «إنّ الشّريعــة قد دنّسَتْ بالجهالات واختلطت بالضّلالات ولا سبيل إلى غسْلها وتطهيرها إلا بالفلسفة». والثّانية باطنة يشير إليها إخوان الصّفاء في رسائلهم بأسلوب رمزيّ يوحي إليك بأنّهم يريدون إقامة نظام سياسيّ جديد كما في قولهم: «وممّا يجمعنا وإيّاك ـ أيُّها الأَخ

البارُّ الرّحيم – محبّة نبيّنا عليه السّلام وأهل بيته الطّاهرين وولاية أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب خير الوصيّين» وقولهم : «تناهت قوّة أهل الشرّ وكثرت أفعالهم في العالم في هذا الزّمان وليس بعد التّناهي في الزّيادة إلا الانحطاط والنّقصان . واعلم أنّ الملك والدّولة ينتقلان في كلّ دهر وزمان ودور وقران من أمّة إلى أمّة ومن أهل بيت الى أهل بيت ومن أهل بلد إلى أهل بلد» .

وتنبني العقيدة الإسماعيلية – فضْلاً عن القول بالإمامة – على التّمييز بين «الظّاهر» و«الباطن» ويتّجه التفكير الشّيعيّ الإسماعيلي إلى انتظار تجلٍّ تام لباطن معاني التّنزيل لا إلى انتظار شريعة جديدة . ولا يحصل ذلك التجلّي – حسَب اعتقاد الأشياع – إلاّ بظهور الأيمة المعصومين وخروجهم من دور السّتر وهو الاختفاء الوقائي بدافع التّقيّة . ولمّا تساءلوا : هل أنّ حدود الدّين تقف عند ظاهر الأحكام الشّرعيّة أم أنّ ذلك الظاهر غلاف لشيء آخر أعمق منه سموه باطنا؟ أجابوا بأن لكلّ ظاهر باطنا ولكلّ تنزيل تأويلا . وزعموا أن الشّريعه لا معنى لها إلاّ بإدراك الحقيقة الرّوحيّة . وهذه عندهم مرادف باطن معاني التّنزيل . ولا سبيل في نظرهم إلى بلوغها إلاّ بواسطة الإمام الذي يعتبرونه «قيّم القرآن» و«معلّما» يُبْلغُ إلى أشياعه المعاني الباطنيّة للتّنزيل .

وإذا تصفّحتَ ديوان ابن هاني تبيّنتَ كثرة ما ورد فيه من المفرادت الدّالّة على الكتمان . وهي كلها تشير إلى علم الباطن مثل «السّريرة» و«الحجاب» و«علم الغيوب» و«المبهم» و«الصحيفة المختّم» و«سر الله» و«سرّ الوحي» و«المصون» . ويتغنّى ابن هاني في عديد من القصائد بنور الإمام المعزّ الذي يكشف الباطن للأشياع كما في قوله :

«وعلِمْتَ مِنْ مكنون عِلمِ اللهِ مـا ... لمْ يُؤْتِ جِبْرِيلاً وَمِيكائيلا»
«للهِ فِيكَ سريرةٌ لوْ أعْلِنَــت ... أَحْيَا بِذِكْرِك قاتِلٌ مَقْتُـولا»
«لو كان أعْطى الخلق مَاأوتِيتَهُ ... لمْ يخْلُقِ التَّشْبِيه والتَّمْثِيلا»
«لوْلا حجاب دُون عِلْمِكَ حاجِزٌ ... وَجَدُوا إلى عِلم الغيوب سبيلا»

وَيُمَيِّز ابنُ هانِي –على غرار الإسماعيليَّةِ– بين «علم الظَّاهر» وهو ما يعلمه عامَّةُ النَّاسِ و«علم الباطن» وهو للإمام وخاصَّة الأَشياع . والإمامُ في اعتقاد الشَّاعر مُترْجِمٌ ووسيطٌ . فاقرأ لــهُ في هذا المعنى الأَبيات التالية المقتبسة من قصيدة مدح بها المعزَّ :

«لكُمْ جامعُ النُّطْقِ المفرَّقِ فِي الوَرى ... فمِنْ بيْنِ مشروح وآخر مبهم»
«وفِي النَّاسِ عِلْمٌ لايظُنُّون غيْرهُ ... وذلك عُنْوَانُ الصحيف المختم»
«إذا كانتِ الأَلْبابُ يقْصُرُ شأوها ... فظُلْمٌ لسر الله إنْ لمْ يُكتَّـم»
«إذا كان تفْرِيقُ اللُّغاتِ لِعِلَّـةٍ ... فلا بُدَّ فِيها مِنْ وسِيطٍ مُترْجِم»

ويُغالي ابن هاني فِي القوْلِ بالباطن ويربطه بعلم الغيْب في الرَّدِّ على أعداء الفواطم كما في قوله :

«مَاذا تُرِيدُ مِن الكِتابِ نواصِبٌ ... ولهُ ظهور دُونها وبطون»
«هِيَ بغْيةٌ أَظْلَلْتُمُوها فارْجِعُوا ... فِي آلِ ياسِينٍ ثوتْ ياسِينُ»
«رُدُّوا عليهم حُكْمَهُمْ فعليْهِـم ... نزل البيانُ وفيهمُ التَّبيِيــنُ»
«والستر سِتْرُ الْغيْبِ وهو محجبٌ ... والسر سِرُّ الْوحْيِ وهْو مصُونُ»
«النور انت وكُلُّ نُورٍ ظُلْمــةٌ ... والْفوْقُ أنت وكُلُّ فوْق دُونُ»
«لوْكان رَأْيُك شايِعاً فِي أمَّــةٍ ... علِمَتْ بِما سَيَكُونُ قبْل يَكُونُ»

ورغْم أنَّ المعِزَّ كان يدِينُ كسائر الشيعة بأنَّ منصب الإمامة فرض إلٰهِي وواجب وحقٌ فإنَّهُ ما ارْتاح لِمَا قِيل فيه من الغلوِّ

مثل علم الغيب بل نهى عنه حسب شهادة قاضي قضاته النُّعمان في هذا الخبر من كتابه «المجالس والمُسايرات» . قال المُعزُّ : «ينتهي إلينا أخبار عن بعض من يزعم أنه يتولانا وبعض من يدَّعي أنهُ يدعو إلينا من الغلوّ فينا ونحن نبرأ إلى الله من كذبهم علينا وتقوّلهم فينا ونحن عبادٌ من عباد الله مخلوقون مربوبون لا عِلْم لنا إلاَّ ما علمنا وصار إلينا عن نبيِّه جدِّنا محمَّد - صلَّى عليه وسلَّم - مما أودعه اللهُ إياه وأورثنا ممّن بعده وأُودعناه لا نحيطُ من علمه إلاَّ بما شاء ولا من غيبه إلا ما أطلع عليه مِنّا مِن ارتضاه كيف أحبَّ وشـــاء .

لا ندَّعِي النُّبوَّة والرّسالة بل نحن المستحفظون على الإمامة حَلالُنا من كتاب الله وحرامُنا منه وطاعتنا مفروضة على عباد الله بحكمته. مَنْ عرفنا فقد عرَف الله، ومَنْ جهلنا فقد جهله . نحن الدَّالُّون بحكمه عليه والقائمون بأمره على عباده . نحن دون ما يقول الغالون وفوق ما يظنُّ الجاهلون . إنَّما أراد من نَحَلنا علم الغيب ونسب إلينا تنزُّل الوحيِ ممن يدعو بزعمه الينا أن يجعل ذلك مقدِّمةً لنفاقه علينا فإذا اراد ذلك قال لمن دعاه : لم أدْعُكم إلاَّ لمن وصفْتُ لكم فيه ما وصف فيصدُّهم بذلك عنّا لعن الله الصَّادِّين عنّا فإنَّهم عن الله يصدُّون .»

ولكنَّ صريح اعتدال المعزِّ في الخبر السَّابق وفي عديد من الأخبار الأُخرى لم يمنع المؤرِّخين السّنيين من أن ينسبوا إليه رَصْد الكواكب لمعرفة الغيب كما فعل ابن تغري بردي في «النُّجوم الزاهرة» . ولكنَّ كتب الدَّعوة الفاطميَّة الرسميَّة تُبطل ذلك الزَّعم . وهاك لمزيد التَّيقُّن من ذلك عينةً من كتاب آخر للقاضي النُّعمان بعنوان « الهمَّة في آداب أتباع الأئمة » تدْحضُ ما ينسُبه الغُلاة إلى أيمّة

18

الفواطم من علم الغيب : «لا نقول ما قاله الغلاة الضّالّون المبطلون الصّادّون عن أولياء الله الدّافعون إمامتهم الزّاعمون أنّهم يعلمون غيب الله وما تخفي صدور عبادهم، تعالى الذي تفرّد بعلم ذلك دون خلقه ولم يُطلع على ما شاء الله منه إلاّ من ارتضى من رسله وإنّما أراد هؤلاء الفَسَقة بما نسبوه إلى الأئمة ـ صلوات الله عليهم ـ من ذلك دفع إمامتِهم.»

والعجبُ كلّ العجب أن يجيز المعزّ بعد تبرئُهِ ممّن ينسب إليه معرفة الغيب ما يقول فيه شاعرُهُ الرّسميّ ابنُ هاني من الغلوّ. فلعلّ الاسماعلية انقسموا في زمان ذلك الإمام إلى معتدلين مثله ومثل قاضي قضاته النّعمان، والى غلاة نحلوا الأيمة علم الغيب ودانوا بتلاشي الأرواح وبحلول الله في البشر كما قال شاعرٌ إفريقيّ في عبيد الله المهدي حين دخل حاضرة الأغالبة :

«حلّ بِرقّادة المسيـــــــحُ حلّ بها آدمُ ونُـــــوحُ»
«حلّ بها الله ذو المعالـــــي وكُلُّ شيءٍ سِواه رِيـــــحُ»

وجاراه ابن هاني في نفس المعنى عندما مدح المعزّ بهذا المطلع:

«ما شِئْتَ لا ما شاءتِ الأقْـدارُ فاحكُم فأنْت الواحِدُ القهّارُ»

ومِنْ مُخلّفات غُلوّ الفئة المُتطرّفةِ فِي فرقة الإسماعيليّة ما جهر بِهِ حمْزةُ بن علِي مُؤسس المذهب الدّرزِي من تأليهِ الخليفة الفاطمي السّادس الحاكم (386هـ، 411 هـ = 996م، 1021م). ولكنّ الدّعوة الفاطمية الرّسميّة قاومت تلك البِدعة التي جَوّزها الحاكم فطاردت حمزةبن علي خصوصاً بعد موت الخليفة السّادِس وأجبرته على الفرار من القاهرة والاعتصام بجبال الشّام حيث استقرّ مع أشياعــه.

وَنظرًا لِمَا يُحِيطُ بالفرقة الإسماعيليَّة السرِّيّة من الكتمان والغموض رغم ظهور عديد من كتبها المذهبيّة في عصرنا الحاضر وما قاله عنها الباحثون المُخْتصّون فلا يُسْتبْعدُ أنْ يكون المعزُّ ومُمثِّلو الدّعوة الفاطميَّة الرّسْميَّة قد امتنعوا عن الجهـر بمبادئ عقائديّة متطرِّفة ليتجنَّبُوا إغضاب الرّعايا المتشدِّدين في تمسُّكِهِمْ بالسّنَّة وعقيدة السَّلف الصّالح فيضمنوا ولاءهم لدولة الفواطم إذ يعلمون خطورة بدعة علم الغيب التي ينسبها إليهم أعداؤُهمْ لمقاومتهم في بيئة سُنِّيَّة ترفض البدع وتعتبرها زيغاً عن الدِّين كما يفهم من الخبرين الواردين في «المجالس والمسايرات» وفي «كتاب الهمّة في آداب أتباع الأئمّة» للقاضي النُّعمان فلم يكونوا أغْرَارًا ليظْهرُوا بها ويُشهروها بين الجماهير المالِكِيَّة التي كانت تنتظِر الفرصة لِتُواثِبهُم فلمَّا سَنحتْ لها في عهد الامير الزِّيريِّ المعز بن باديس سنة 407 هـ = 1016 م أقامت المجازر لأشياع الفواطم في القيروان والمنصوريّة والمهديَّة وسوسة وتونس وفي سائر مدن إفريقية فصنع ابن زِنْجِي الكاتب في تلك المناسبة قصيدته المشهورة ومنها قولُه :

«سقى الغيْظَ فِي طيِّ الضّميرِ المكتّم
دماءُ كِلابٍ حُلِّلتْ فِي المُحـرَّمِ»
«غزوْنا أعادِي الدِّينِ لا الرُّمحُ يَنْثنـي
نبُوًّا وَلَا حدُّ الحُسَام المُصَمَّـم»
«فلا نفق فِي الأَرْضِ أخْفى مكانكـمْ
ولا شاهقٌ يُرْقى إليهِ بِسُلَّـمِ»
«لقد رفضتْكُـمْ كُلُّ أرْضٍ وبُقْعـة
وَقدْ صَرَختْ منكم بِقاعُ جهنَّـم»

ويعتبر الإسماعيليّة أنّ الباطن علم إرثي يتوارثه الأيمّة. وإذ بالغوا في القول بالباطن سمّوا الباطنيّة كما سمّوا «التّعليميّة» لاعتقادهم بأنّ الإمام يعلم الباطن ويعلّمه لأتباعه، وسمّوا أيضاً السّبعيّة والإسماعليّة لانحيازهم إلى الإمام السّابع إسماعيل.

ويجنح فقهاؤهم إلى تأويل العبادات ويبالغون في القول بالباطن. ويختلف الفقه الإسماعيلي عن فقه أهل السّنّة في عديد من المسائل مثل تفويض تعيين حلول الشّهر الجديد للإمام استناداً إلى الحساب الفلكي بدون انتظار رؤية الهلال، فتسبّب ذلك في خصومات بين أتباع الفواطم وأهل السّنّة في شهر رمضان إذ اختلفوا في تعيين بدايته ونهايته.

يعتقد الإسماعيليّة أنّ الإسلام بني على سبع قواعد: الولاية أو الإمامة وهي عندهم أفضلها وبها وبالوليّ ينتهي الشيعي إلى معرفة الدّين. وهم يعتبرون الإمام من البشر من حيث الظّاهر ولكنّهم في التّأويل الفاطمي يسبغون عليه «وجه الله» و«يد الله» و«جنب الله». وتلي الإمامة الطّهارة بالمعنى الظّاهري وهو التّطهّر عن المعاصي والذّنوب، وبالمعنى الباطني وهو التّطهّر بالعلم من أدران النّفوس، ثمّ الصّلاة ومعناها الباطني التّبشير بمعرفة الله، فالصّيام ومعناه الانقطاع عن أهل الكفر بالتّقيّة، فالزّكاة ومعناها أن يقتسم الشّيعي مع غيره ما أنعم الله عليه به، فالحجّ ومعناه الإعراض عن الإقامة الزّائلة والسّعي إلى الإقامة الخالدة، فالجهاد ومعناه الفناء في ذات الله. ولمّا جعلوا للعبادات ظاهراً وباطناً أوّلوها فقال الدّاعي ثقة الإمام في كتابه «المجالس المستنصرية» عن طور من أطوار الوضوء أسوقه لك كنموذج

من التَّأويل : «غَسْلُ الوجه هو أوَّل الفرائض والوجه في التأويل الباطن مَثَلُهُ مَثَلُ النبي -صلىَّ اللهُ عليه وسلم- في عصره والإمام في زمانه فكلٌّ واحد منهما به يتوجَّهُ أهل عصره إلى اللهِ تَعَالَى .»

ومع الأيَّام ازْدَادَ المذهب الإسماعيليُّ تَعَقُّداً بِمَا تَسَرَّبَ إليه من الآراء الفلسفيَّة الأَرِسْطِيَّةِ ومِنْ نَظَرِيَّةِ الفيض الإشراقيَّة المُسْتَمَدَّةِ منَ الأفْلاَطُونِيَّةِ الحديثة (Néo Platonisme)، وهي فلسفة أفلوطين (Plotin). وتعتبر تلك النَّظَرِيَّةِ الفيضيّة أنَّ العَالم الجسمانيَّ كلَّهُ صادر عن أربعة مبادئ هي: أمرُ الله أو كلامُهُ، ثمَّ العقلُ الكلّيُّ أو الفَعَّالُ الذي يحوي جميع الموجوداتِ، فالنَّفْسُ الكليّةُ القابلةُ من العقل الكلِّيِّ صور الموجودات، فالهيولى الأولى أو المَادَّةُ غير المعيّنة أصلا وهي القابلة تدريجيّاً ما في النَّفْس الكلِّيَّة من صور، وعنها فاضت الهيولى الثَّانية أو الجسم المطلق، ثمّ العالم الجسماني إحدى عشرة كرة من الفلك المحيطحتَّى كوكب القمر، ثمّ الأرض بمعادنها ونباتِها وحيوانها . وقد قاس الإسماعيلية مبادئَ العالم الجسمانيِّ الأربعة على العدد كلِّه المتفرّع من أربعة أعداد وهي $1+2+3+4=10$.

وفي عقيدتهم نظريّة ثانية أساسيّة تعتبر أنَّ لِلْعَالم أدواراً مختلفة، وأنَّ المِلَّةَ القائمة في كلِّ دور تختلف بسننها وشكلها عن المِلَّةَ السَّابقَة . فالعَالم في نظرهم يمرّ بسبعة أدوار وعلى رأس كلِّ دور نبيٌّ ناطقٌ حاملُ رسالة إلٰهيّة . والأنبياء الستَّة هم: آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمَّد وسابعهم هو المهديُّ المنتظر . والرّأي عند الإسماعيلية أنَّ لكلِّ نبيٍّ من الأنبياء السِّتَّة الأوائل عمدةً وأساساً يسمّونَهُ «الصّامت» وهو الذي

يكشف باطن الشَّريعة للأشياع لأنّه مستَوْدَعُ علم النبوّة. ويزعمون أنَّ كلَّ نبيٍّ متبوع بسبعة أيمّة يبلغ سابعهم في كلِّ دور أعلى مرتبة الإمامة فيصير ناطقاً ويلغي الشَّريعة السَّابقة ليبشِّر بشريعة جديدة. وفي اعتقادهم أنَّ عَلِيًّا هو أساس محمّد صلوات الله عليه في الدور السّادس وأنَّ اسمَاعيل أو محمّداً ابنه هو الإمام السّابع فعندما يرجع في مستقبل قريب يصبح الناطق السابع ويبشِّر بالحقائق الباطنيّة كلِّها. وهذا مُخَالِفٌ لعقيدة أهل السُّنة فلذا اعتبروا المذهب الإسماعيليّ انحرافاً عن الدين وقاوموه خفية وجَهْراً.

حماة الشاعر وممدوحيه

1 بَنو حَمدُون

بنو حمدون مدحهم ابن هانىء وهم من أصل يمنيٍّ نزح جدُّهم عبد الحميد من سوريا إلى إلبيرة بالأندلس. ومُنذ فَجْرِ الدَّعوةِ الفاطميّة بالمغرب ناصر بنو حمدون بني عبيد. وفي سنة 315 هـ= 926 م ـ في مُدَّةِ خلافة عبيد الله المهدي ـ أسّس الأمير القائم قبل تَوَلِّيه الخلافَةَ بدوره مدينَةً بالزّاب في الجزائر سَمَّاها المحمّديَّة باسمِهِ ثمَّ عُرِفَتْ من بعد باسم المَسيلة وولّى عليها عليًّا بن حَمْدون. فَلَمَّا مات هذا الوالي سنة 334 هـ= 945 م في معركة ضدَّ أبي أيّوب بن أبي يزيد صاحب الحمار الثّائر الخارجيّ على الفاطميّين خَلَفَهُ ابْنُهُ جعفرُ بن عَلِيّ بن حمدون في إمارة الزّاب فساعَدَهُ في الحكم أخوهُ يَحْيَ. وقد تربّى ـ الأخوان في قصرِ الخليفَةِ القائم ثمّ في بلاط المنصور في رعاية الحاجب جَوْذَر. ويؤكِّد ابن خلدون أنَّ أمَّ المعزِّ لدين الله أرْضَعَتْ جَعْفَر لَبنَها فكان أخاً للخليفة الفاطميّ الرّابع من الرّضاعة. فلمّا ولي المعزُّ الخلافة سنة 341 هـ= 952 م عَظُمَ في عينه شأنُ جعفر.

2 . القائد جوهر

لَمّا اعتلى المعزّ لدين الله عَرْشَ الْفاطميّين سنة 341 هـ اعتنى بتدعيم الجيش البَريّ والأُسطول لِيَمُدَّ نفوذ دولته شرقاً وغرباً وَيَجْعَل غَرْبِيَّ البحر الأَبيض المتوسط على الأَقل بُحَيْرَةً فاطميّة. وَاصْطَنَعَ المعزّ قوّاداً أَقْوِيَاء أشهرهم جَوْهَرٌ فكانَ هذا القائد يَحْظى بِثقة الخليفة الذي لقّبه «جوهرَ الكاتِبَ» وَعَهد اليه في الإِشراف على دواوين الدّولة وعلى المُوظّفين. ويُقال إنه اتّخده وزيراً سنة 347 هـ فضْلاً عن المهامّ العسكريّة الجليلة التي كَلَّفه بها إذ عيّنَهُ عَلى رَأسِ جَيْشٍ كَثِيفٍ وَحَّدَ بِهِ جميع بلاد المغرب تحت راية الفاطميّين سنة 347 هـ . وفَتَحَ جَوهَرُ مصرَ سنة 358 هـ فأثَارَ مَخَاوِفَ الأُمويّين بالأَندلس والعبّاسيين بالعراق. وتَصَدّى للرُّوم في جزيرتي صقليّة وإقْريطش (crête) وفي بلاد الشّام. وقد تغنّى ابن هاني ببطولة جوهر في مطوّلتين شعريتين كما تغنّى ببطولة الجيش الفاطميّ في عديد من المناسبات (راجع في المنتخبات «وداع جوهر»). ويبدو ــ خلافا لما تردّد ذكره في كتب التاريخ التى اعتبرت جوهراً روميّاً من جزيرة صقلية ــ أنّه مملوك من الصّقالبة ومنهم الرّوس والصّربُ والبلغار وغيرهم من أهالي البلاد المحيطة بالبحر الأَسود وحَوض الفُولقا. وإلى ذلك الجنس ينتسب العديد من القوّاد الذين لعبوا دورا هاما في افريقية الفاطمية أمثال نصير صاحب البحر وقائد المهدية من قبل جوهر في عهد المعزّ وقيصر والمظفّر والحاجب جوذر وكاتبه المنصور وغيرهم ممّن وردت أسماؤهم في كتاب «سيرة الأُستاذ جوذر» وَذُكِرَ نَسَبُهُم الصّقْلَبِيُّ . غيرأنّ الدّكتور علي ابراهيم حسن يلاحظ في كتابه «تاريخ جوهر الصقلّي»

شيوع « إطلاق لفظ الصَّقَالِبَةَ على سُكَّان جزيرة صقليّة » وهو خطأ واضح في نظره فلذا يعتبر جوهرا أصيل صقليّة لا من الصَّقَالِبَة كما يظنّ « ماريوس كانار » في مقدّمة ترجمة كتاب « سيرة الأستاذجوذر »

3 أفلح النّاشب

وَلِيَ بَرْقَةَ فِي طَرَابلس الغرب من قبل المعزّ . و كان له الفضل في تمهيد الفتح الفاطميّ لمصر . وقد مدحه ابن هاني بقصيدتين .

4 أبو الفرج محمّد بن عمر الشّيباني

يرجع أصله إلى قبيلة بكر العربيّة . ويُظَنّ أنّهُ قَائدٌ فاطميّ كلّفه بنو عبيد بالشّرطة أو بجمع الخراج على التّخوم الغربيّة بالمغرب الأوسط أو في ولاية تاهرت بالجزائر .

5 ممدوحون آخرون

واتّصل ابنُ هاني بأمراء آخرين هم طاهر والحسين أخوا المعزّ وجعفر بن فلاح أحد قواده والحسين بن مُهذّب الكاتب ببيت المال ومجهول فمدحهم

6 المعزّ لدين الله

أبْرَزُ ممدوحي ابن هاني هو المعزّ الخليفة الفاطميّ الرّابع بعد عبيد الله المهديّ (297هـ = 322 هـ) و القائم (322هـ = 334 هـ) والمنصور (334 هـ = 341 هـ) . وفي عهده عمّ الرّخاءُ مملكَتَه الواسعةَ وبلغ نفوذ دولته أقصى فالشّام وهدّدت جيوشه بغداد . مَداهُ فامتَدّ من المغرب الأقصى إلى مصر

لاَ ينتَمِي المعزّ إلى بيت عبيد الله أي إلى أبْنَاء ميمون القدّاح حُجج الأئمّة الإسماعيليّين ونُوّابِهم في دَوْرِ السّتْرِ بعد جعفر الصّادق وهم أئمة الاسْتِيدَاع الذِينَ يتمتعون بالإمامة في حياتهم

ولا يُورثونَها غيرهم حَسَب الاصطلاح الإسماعيليّ . وإنَّمَا ينتسِبُ إلى أبيه المنصور وإلى جدِّه القائم وهما من سُلالة أيِمَّة الاستقرار الذين يَتَوَارَثُون الإمامة . وكان معنى انتقالها من المهدي إلى القائم جدّ المعزّ ردّ الوديعة إلى صاحبهـا الشّرْعيّ . وفي هذا المعنى يقول الدّاعِي الإسْمَاعِيليّ إدريس في «زهر المعاني» : إنّ المهدي أدّى إلى القَائم «أمانَتَهُ وسَلَّمَ إليه رتبته وأعطاهُ وَديعتَه التي استودعها الله إياه له ، لم يجعل لسائر أولاده فيها نصيباً بـل أقرّ الحقّ في مَقَرّه وجعله في مستقرّه» . أمّا ما ذكرهُ القَاضِي النّعمان في «رسالة افتتاح الدّعوة» وبعض الباحثين المعاصرين مثل «ايفانوف» عن صلة الأُبوّة التي تربط المهدي بالقائم فإنما هي أبوّة روحانِيّةٌ لاَ جِسْمَانِيَّةٌ إذ ليس من الضَّرُورِيّ عند الإسماعيليّة أن يكون الشَّخص ابناً حقيقيّاً لآخر حين يقال له فلان بن فلان . ولِعقيدة التَّبَنّي الرّوحيّ صلة بالباطن وبتعليمه عند الإسماعيليّة ولا أدَل على اعتقادهم أنّ التَّبَنِّيَ يصدر عن النفس الخالدَة لا عَن الجَسَد من قَوْل إخوان الصَّفَا : «اعْلَمْ أنَّ المعلِّمَ والأُستاذَ أبٌ لِنَفْسِكَ وسَبَبٌ لِنُشُوئِهَا وعلَّةٌ حياتها كما أنَّ وَالِدَكَ أبٌ لجسدك وكان سبباً لِوُجُودِه وذلكَ أنّ وَالِدَكَ أعطاك صورة جسدانيّة ومعلِّمَكَ أعطاكَ صورةً روحانِيّةً .»

ومِمَّا يحمل على اعتقاد أنّ عُبَيد الله المهدي الإمام المستودع هو أحد أحفاد عبد الله بن ميمون القدّاح وليس من سلالة فاطمة وأنّه الأَبُ الرُّوحانيّ للقائم الامام المستقرّ خبرٌ نقله القاضي النّعمان في «المجالس والمسايرات» عن امرأة لعبيد الله المهدي كانت تقول لأولاده ونسائه بعد وفاته : «والله لقد خرج هذا الأمرُ من القصر (تعنى قصر القائم) فلن يعود إليه أبدا وصار إلى ذلك

القصر (تعني قصر القائم) فلا يزال في ذريّة صاحبه ما بَقِيَتِ الدُّنيا .» فهاهنا دليل على شدّة العداء بين أبناء المهدي من جهة والقائم من جهة أخرى . ولو كان الخليفة الفاطميُّ الثّاني من ذريّة المهدي لما فاهت السيّدة بما فاهت به .

وُلِدَ المُعِزُّ (أبو تميم مَعَدٌّ بن المنصور) بالمهديّة قاعدة الفاطميّين سنة 319 هـ فأدرك في حياته ثلاثة خلفاء هُمُ المهدي فالقائم فالمنصور . ويُستفاد من المصادر التّاريخيّة – وخاصّةً من كتاب « المجالس والمُسايرات » للقاضي النُّعمان المغربيِّ – أنّ القائم جدَّ المعزّ هو الذي اعتنى بتربيته وتنشئته على المذهب الإسماعيلي إلى أنْ تُوُفِّيَ في سنة 334 هـ فعَلَّمَهُ أصول ذلك المذهب من كتب الباطن حتّى تفقّه فيه . وظهر نُبوغ المعزّ منذ حداثته فتعلّم عديداً من اللّغات إلى جانب العربيّة وكان أبوه المنصور يستشيرُهُ في أمور الدّولة.

الوضع السّياسي في الإمبراطوريّة الفاطميّة منذ خلافة المعزّ وأثره في شعر ابن هانئ

أ. المعزّ يواجه الأمويّين

كان بنو أميّة بالأندلس زَمن الخليفة عبد الرّحمان النّاصر يُضَايقون الفاطميّين فِي المغرب ويناوشون أسطولهم فِي البحر مثلما فعلوا مَرّةً عندما هاجمت إحدى سفنهم سفينة فاطميّة بالقرب من صقليّة واستولت على رسالة موجّهة من قبل الحسن بن علي الوالي الفاطمي بتلك الجزيرة إلى المعزّ فغضب هذا الخليفة وبعث أسطوله في سنة 344 هـ إلى « المريّة » قاعدة أسطول الأُمويّين فأحرق سُفُنَهم ودَارَ صِناعةِ مَرَاكِبهم، واستولى على المدينة وانتهبها . وَيُشِيرُ ابن هاني إلى تلك الحادثة في قصيدة مَدَحَ بها المعزَّ . (راجع فِي المنتخبات «أنت وَليُّ الثّأر») .

ولمّا تعاطف الأُمويّون مع جماعة من الولاة الفاطميّين بِالمغرب الأقصى من بينهم خاصّة يَعْلَى الزّناتِي وَشَجّعُوهم على التّمَرّدِ على بني عبيد أرسل المعزّ الحملة الكبرى بقيادة جوهر ليُعَاقِبَ المتمرّدين ويستردّ البلاد التي اسْتَقَلَّتْ عن نفوذه مثل سجِلْمَاسَة والمناطق الخاضعة اسميًا لعبد الرّحمان النّاصر الأُموي كالرّيف التّابع لحكم الأدارِسة . وقد نَجَحَ جوهر في مهمّته إلاّ أنّ طَنْجَة وَسَبْتَةَ اسْتَعْصَتَا عليه لِقُرْبِهِمَا من الأندلس فلم يستطع إخراج الأُمويّين منهما . وقد تَغَنّى ابن هاني ببطولة جوهر بمناسبة رجوعه مظفّراً من تلك الحملة الطّويلة جَالباً مَعَهُ الهَدَايَا الثّمِينَةَ من ديبَاج وخيول وغيرها للمعزّ (راجع في المنتخبات «هدِيّة من أعطى النّصِيحة حقّها») .

ب - الفاطميّون في جزيرة إقْرِيطش « Crête »

إقريطش هي الجزيرة الواقعة بالقرب من شواطئ مصر والقسطنطينيّة . وكانت في أوائل القرن الرّابع الهجري ، العاشر الميلادي ، عربيّة وقد اتّخَذَها القرصان المسلمون مأوى وانطلقوا من عاصمتها الخندق لِلانقضاض على الأرخبيل وعلى سواحل إيسجي (La mer Egée) والتجَأَ الرَّبَضيّون القادمون من ضاحية بقرطبة تسمّى الرَّبَضَ وتوجد على الضَّفَّةِ الشّماليّة من الواد الكبير إلى جزيرة إقريطش ناجين بأنفسهم من المجزرة التي أقامها لهم الأمير الأُمويّ الحكم الأوّل (180 = 206 هـ) لمّا تمرّدوا عليه وحاولوا الإطاحة بملكه يوم 13 رمضان 202 هـ = 25 مارس 818 م

إذ ضجّوا من بطشه ومن المغارمِ التي أثقل بها كاهلهـــم .

وكان استيلاء جيش المعزّ على اقريطش تمهيدا لفتح مصر ورغبة في توسيع منطقة النُفوذ الفاطميّ من المغرب إلى المشرق . فلمّا استنجد أحفاد الربضيّين بالفواطم من غارات الرّوم أنجدوهم واحتلُّوها ثم انسَحبوا منها عندما استولى عليها الامبراطور البيزنطي نقفور فوكاس في سنة 351 هـ = 961 م بأسطول ضخم مؤلَّف من ألفي بارِجَةٍ وألف وثلاث مئة نقّالة فلم يستطع صدّها المـــدد العربيّ الوارد من طرسوس بالشّام ومن مواني إفريقيّة فعادت إقريطش إلى حوْزة الروم ونقل إليها نقفـــور جاليات يونانيّة وأرْمِينيّة انضمّت إلى السّكّان المسلمين .

ج- الفاطميّون في صقليّة

وُلَاةُ صقلِّيّة مِنَ الأُسرة الكلبِيَّةِ في القرن الرّابع الهجري عرَبٌ عَيَّنَهُم الفاطميّون . وفي عهد المعزّ نقض الإمبراطور قسطنطين الثّامن (307 ـ 333 هـ= 919 ـ 944 م) شروط الهُدْنَةِ بينه وبين والي تلك الجزيرة الحسن الكلبي وأرسل لمحاربته في سنة 345 هـ= 956 م حملة برية وبحرية فاستولى جيشه على بلرمو وثِرمة ثمّ عَادَ إلى قَلُّورِيَةَ (كَالاَبْرِيَا الواقعة في جنوبيّ إيطاليا) وجَاء المَدَدُ الفاطميّ إلى الحسن الكلبي وأخيه عمّار فاستطاعا قهْرَ الرّوم في صقلِّيّة وقلّورية واضطرّ الإمبراطور البيزنطي إلى التِمَاس الصّلْح من الفاطميّين فعقـــدوا معه هدنة في سنة 350 هـ تقضي بدفع الجزية للفواطم .

وفي سنة 351 هـ استَوْلى أحمد بن الحسن بن أحمد الكلبي على قلعة طَبَرْمِينَ فِي صقلِّيّة وسمّاها «المعِزِّيَّةَ» نسبةً إلى الخليفة الفاطميّ الرّابع . وسقطت في أيدي الفواطم مدنٌ أخرى إلاّ أن رمْطة (Rametto) استَعْصَتْ عليهم فحاصروها بقيادة الحسن

ابن عَمّار في رجب سنة 352 هـ فاستنجد أهلها بالإمبراطور «نقفور فوكاس» (352 ـ 359 هـ = 963 ـ 969 م) ـ وهو الذي حارب العبّاسيّين والحمدَانيّين في الشّام والرّبضيّين في جزيرة إقريطش ـ فجهَّزَ أسطولا ضخما حَمَّلَهُ قرابة خَمْسينَ ألف مقاتلٍ واختار لقيادته «مانويل» أحد أقربائه فاستولى جيشه على مِسّينى في شهر شوّال سنة 353 هـ = 964 م وعلى ثِرْمَة ومدن أخرى وقَطَعَ طريق المدد الفاطميٍّ إلى جيش الحسن بن عمّار الذي كان يحاصر رَمْطَةَ فَحُوصِرَ بدوره. ولمّا ضيّقَ الرّوم عليه الخناق اتّجه ابنُ عَمِّهِ أحمد بن الحسن الكلبي من بَلِرْمُو إلى رَمْطَةَ لِيَفُكَّ عنه الحِصَارَ. وفي طَرِيقه إليه شُغل باسترجاع مدينة ثِرْمة فاستطاع الحسن بن عمّار وَحْدَهُ بِدَهَائِهِ العسكريّ وثباته أن يلحق بالرّوم أخيرا الهزيمة رغم كثرتهم وقوّة عتادهم وأن يقتل قائدهم «مَانويل» ويَعْقِرَ فرَسَهُ فَوَلّى الرُّومُ الأَدبار. ولمّا عَلِمَ أحمد بن الحسن الكلبي بهزيمتهم في رَمْطَةَ اتّجه إلى مسّينَى يُلاَحِقُهُمْ وانتصر عليهم في موقعة المجاز (Le Detroit de Messine) سنة 354 هـ = 965 م . وبعد سقوط رَمطة التي كانت المركز الرّئيسي لمقاومة الحكم العربي في الجزيرة أخذت المدن الثائرة تستسلم إلى الفاطميّين الواحدة تلْوَ الأُخرى حتّى التجأ الإمبراطور البيزنطي «نقفور فوكاس» إلى طلب الصلح فأرسل سفيره الى افريقية سنة 357 هـ عندما كان المعزّ يتأهّب لغزو مصر فهال السَّفير ما رأى من عظمة مُلك الفواطم وماشاهده فى قصر المعز من الأُبَّهة. وقبل المعزُّ الصُّلح مع الرّوم ليضاعف جهوده العسكريّة استعداداً للهجوم على مصر والشامِ. ولابن هاني شعر ملحميّ قاله بمناسبة الوقائع بين الفاطميّين والرّوم في صقليّة وخاصة في مضيق مسّينَى وَحوْلَ رَمَطَةَ (راجع

في المنتخبات «يوم عريض في الفخار» و «أعززت دين محمد» إلخ...) وقد اتّسع النفوذ الفاطمي في البحر الأبيض المتوسط فسيطر أسطولهم على جزيرة كورسيكا وأغار على جنوة وسردينيا.

د- غزو مصر

كان الفاطميّون يَطْمَحُون إلى احتلال المشرق ويحلمون بتزعّم العالم الإسلامي شَرْقيّه وغربيّه. ولما ولي المعزّ الخلافة بدأ بتوطيد أركان دولته بالمغرب ثم قرّر فَتْحَ مصر ليَتَّخذَهَا قاعدة انطلاق لضَرْب الدَّوْلَة العبّاسية التي بدأت تَضْعُفُ. وبُعَيْدَ وفاة كافور الإخشيدي حاكم مصر يوم 20 جمادى الأولى سنة 357 هـ اضطربت الأحوال السياسية في ذلك الإقليم فَسَنَحت الفُرْصَةُ لإرسال القائد جوهر من بلاد المغرب إلى مصر في الرابع عشر من ربيع الثاني سنة 358 هـ على رأس جيش كثيف مُزَوّد بالأموال الضخمة والعتاد القويّ والمُؤَن الكثيرة. وكان عدد المقاتلين يربو على مائة ألف. و لابن هاني مطوّلة شعريّة في وصف خروج القائد جوهر من القيروان بجيشه العظيم لفتح مصر (راجع في المنتخات «وداع جوهر»). وله قصيدة أخرى يمدح بها المعزّ وهو بالمنصوريّة بعد رجوعه من تشييع العسكر النّافذ إلى مصر ويصف القائد جوهراً ويعتذر لتخلّفه عن المسير.

وتكشف «سيرة الأُستاذ جَوْذَر» عن سبب آخر عميق لخروج المعزّ من افريقية إلى المشرق وهو أنّ الفاطميّين واجهوا في شمالي إفريقيا صعوبات جمّة نتيجة عدم تعاطف جلّ المغاربة معهم لأسباب مذهبيّة عقائديّة وجنسيّة؛ لأنّ أغلبهم

برابرة يعتنقون المذهب الخارجيّ وخاصة المذهب المالكي السنّي. وهم بموجب ذلك يناهضون الفواطم الذين كانوا عربًا مشارقةً وشيعة من الغُلاة فكادوا لا يجدون الأَنصار إلاّ من بين رجال كُتامة أشياعِهِم مُنذ افتتاح الدّعوة الإسماعليّة في بلاد المغرب وبني حَمدون ولُاتِهِم على الزّاب بالجزائر وبني الكلبي ولاتهم على صقّلية وبني زيري المُتجرّئين أحيانا على مُناوشة المعزّ.

لمّا بلغ جوهر مصرَ هزَم جنود الاخشيديّة والكافوريّة. ثم اختار موقعا لِبناء عاصمة الفاطميّين الجديدة فوضع أسسها وسمّاها القاهرة. ولاِبن هاني - بمناسبة فتح مصر - مطوّلة شعريّة أشاد فيها ببطولة جوهر وجيشه (راجع في المنتخبات «فتح مصر»)

وفي شهر شوّال من سنة 361 هـ. خرج المعزّ من إفريقيّة حاملا معه أموالاً ضخمة وجثث آبائه وأجداده ليستقرّ بمصر ويتّخذها دار مُلك. ومن الزّاب بعث إليه شاعره بآخر قصيدة نعرفها (راجعها في المنتخبات بعنوان «لديك جنود الله»)

هـ- الفاطميّون في الشّام

أصبح موقف العرب في مواجهة الرّوم بالشّام موقفا دفاعيًّا في النّصف الأَول من القرن الرّابع الهجريّ بعد أن كان مِن قَبْلُ هجوميًّا بدافع الرّغبة في الفتوحات. وقد نِيط الدّفاعُ عن دار الإسلام في ذلك الإقليم بِحُكّام الحدود فاشتهر منهم خاصّة سيف الدولة الحمدانيّ بمواقف بطوليّة تقاوى بها على تدفّق الجيوش البيزنطيّة إلى سهول سوريا حينًا من الدّهر، ومع ذلك توالت المصائب على الشّام. ففي سنة 353 هـ = 964م اقتحم «نقفور فوكاس» عشرين حصْنًا عربيًّا ودخل في سَنة 354 هـ = 965 م مصيصة

وطرسوس. ثم احتل في السنة الموالية دارا ونصيبين في ما بين النهرين (دجلة والفرات) وانقضّ على أنطاكية في حملة إرهابيّة ودخل حمص وعرقة وطرسوس وجبلة (مرفأ في سوريا جنوبيّ اللاذقية) وأبقى فيها حاميات من الروم في سنة 358 هـ = 968 م. واقتحم أسوار أنطاكية سنة 359 هـ = 969م فسقطت بيده بعد أن ظلّت إسلاميّة عربيّة طوال ثلاثة قرون ونيّف، وهجم على حَلَب في تلك السّنة وأرغم قرغويه على توقيع صلح مهين يلزمه الاعتراف بسيادة الروم ودفع دينار عن كل مسلم في كل سنة وإعفاء النصارى من الجزية (راجع الإشارات الى تلك الأحداث في «أسفي على الأحرار» في المنتخبات)

ولكنّ الرّوم اضطرّوا في الشّام الى مُجابهة الدّولة الفاطميّة التي انتقلت إلى مصر بعد أن احتلّها جوهر في سنة 358هـ = 968م فلمّا أزال منها الشّعار الأسود العبّاسيّ بعث إلى الشّام قائده جعفر بن فلاح فحارب الإخشيديّين المنتصبين في الشّام وانتصر عليهم في ثلاث معارك سنة 359 هـ = 969 م وحوّل الخطبة للمعزّ بعد أن كانت للعبّاسيّين. ومنذ ذلك الحين اتّخذ الفاطميّون دمشق قاعدة ينطلقون منها لمحاربة الرّوم الذين تسرّبوا من بيزنطة إلى الشّام واستولوا على أنطاكية فحاصر جعفر بن فلاح تلك المدينة لمدّة خمسة أشهر ما بين سنتي 360 و 361 هـ = 970 = 971 م. وكان ذلك القائد يواجه في الشّام الرّوم والقرامطة. و في شعر ابن هاني صدى أحداث الشام. وقد عاق تعاقب ثورات أهل تلك البلاد على الفواطم جعفر بن فلاح عن إقرار الحكم الاسماعيلي نهائيّا في الشّام. وفي شهر ذي الحجة سنة 360 هـ قتله القرامطة واستولوا على دمشق وشماليّ البلاد. ثمّ هاجموا مصر بقيادة الحسن الأعصم وحاصروا القاهرة في أواخر

سنة 360 هـ وأوائل سنة 361 هـ قبل وُصول المعزّ إليها فقهرهم جوهرٌ وطردهم من مصر بيد أنّ الحسن الأعصم عاد ليحاصر القاهرة مرة ثانية بعيد حلول المعزّ بها فألحق جوهر الهزيمة بالقرامطة فتقهقروا وفرّوا إلى الشّام في سنة 363 هـ ولاحَقهم الجيش الفاطميّ واضطرّهم إلى اللّوْذِ بالبَحْرين. ورغم أنّهم تركوا الشّام ظلّت تلك البلاد مُتموّجة تحت أقدام الفواطم لأنّ أهلها السنّيّين لم يستسيغوا المذهب الإسماعيليّ المتطرّف.

و- الفاطميّون في العراق وفي جزيرة العرب

روى ابن الأثير في كتابه «الكامل في التاريخ» هذا الحديث الذي دار بين المعزّ لدين الله وسفير جاءه مِنْ قِبَلِ الإمْبَرَاطور البيزنطي إلى القاهرة: «أتذكر إذ أتيتني رسولا وأنا بالمهديّة فقلت لك: لتدخلنّ عليّ وأنا بمصر مالكا لها. قال: نعم، قال: وأنا أقول لك: لتَدْخُلُ عَلَيَّ بغداد وأنا خليفة». ويُفهم من هذا الخبر أنّ المعزّ كان يحلم بفتح مصر وهو مقيم بإفريقيّة ثمّ بفتح العراق بعد أن انتقل إلى مصر فكان يستهدف القضاء على خلافة بني العبّاس واتّخاذ بغداد قاعدةَ مُلْكِه.

أما في جزيرة العرب حيث تضاءل نفوذ بني العبّاس فقد وجدت الدّعوة الإسماعيليّة ميدانا أخصب من العراق فأقيمت الخطبة لعديد من الخلفاء الفاطميّين في مكّة وفي المدينة وامتدّ نفوذهم إلى اليمن. وفي ديوان ابن هاني إشارات إلى رغبة المعزّ في الاستيلاء على العراق ودخول الحجاز وإنقاذ الحرم الشّريف من خطر الرّوم الذين اكتسحوا مكّة وعبثوا بقبر النّبيّ المصطفى (راجع في المنتخبات القطعة «أسفي على الأحرار» ومنها قوله:

«فإلى العراق وَذَرْ لِمَنْ قَدَّمْتَهُ مِصْراً فهذا مُلْكُ مِصْرٍ قَدْ صَفَا»

غير أنَّ الفاطميِّين عجزوا عن إخضاع العراق لسلطانهم .

سعة نفوذ المعز وصورته في «المعزيات»

جمع المعزُّ بين السّلطتين الدِّينيّة والسّياسيّة واستمدَّ نفوذه من انتسابه إلى آل البيت ومن اعتقاد أشياعه أنَّ الفوَاطم أحقُّ النَّاس بالخلافة واتّخذ ذلك العنصر من العقيدة الإسماعيليّة ونسبه العلوي سلاحا مَذْهبيّاً لمُقَاوَمَة العبّاسيّين في المشرق والأمويّين في الأندلس وأحاط نفسه بهالَةٍ من التّقديس نتبيّنها في قصائد سُمِّيَتْ «المعزِّيّات» باسمه في ديوان شاعره ابن هاني. واعتقد أتباعه أنَّهُ مصدر العلم والعرفان والواسطة بينهم وبين الله. وكان لهم مَثلاً أعلى يقتدون به فلا غَرْوَ أن يُحْرِز انتصارات رائعةً شَرْقاً وغرْباً، برّاً وبحْرًا بإعانة أشْيَاعٍ لَهُ اعتبرهم «جُنْدَ الله» واعتبروه إماماً «واجب الطَّاعَةِ» كما اعتبروا عصره عصر «دولة الله» حسَب تعبير القاضي النُّعمان .

وكان المعزّ قُطب الدَّولة ومُحَرّك أعمالها يُقَلِّد الولاة حُكمَ الأَقَالِيم ويختار قُوّاد جيوشه ويساهم معهم في تخطيط المعارك ويشرف على القضاء والشُّرطة وكثيرا ما كان ينتصب للنَّظَرِ في المظالم ويخرج لأشياعه ورعاياه في عديد من المناسبات عندما كان يقيم بالمنصوريّة (صَبْرَة) في إفريقيّة . وقد اصطفى الأُستاذَ جَوْذَر حاجباً لَهُ أمينا وجعله واسطة بينه وبين سائر رجال دولته وأطلعه على أسراره فكلَّفَهُ مثلا بإشْعَار الأَشياع بأنَّهُ أقصى ابنه تميماً عن الخلافة الفاطميَّة مِنْ بَعْده لاسْتهتاره وأوصى بالخلافة لابنه الثَّاني عبدالله. ولكنَّ عبد الله توَفِّي في حياة والده فَنَقَلَ المعزّ خلافة الإمامة إلى ابنه الثالث العزيز بالله .

وقد اصطفى المعزّ أيضاً جوهراً قائدا أكبر ومستشاراً ووزيراً ومُعاوناً على إدارة البلاد. وكان دائم الاتّصال بِدُعاتِهِ المُنْتشِرِين فِي الآفاق. وإنّك لتجِدُ فِي «المعزّيّات» ملحمة ذلك البطل وصورةً مثالية لأعظم خليفة فاطميّ لم تكُنْ المدائحُ التي قالها فيه شاعِرُه ابن هاني تملُّقًا ولا إطْراءً مُخْتلقًا بِدافِع التّكسُّب وإنْ كان شاعر بَلاطٍ. وإنّما كانت تلك المدائح مِرْآةً عكسَت الصّورَة الحقيقيّة لإمامه رغم المغالاة المذهبيّة الصّادرة عن الشّاعر المتحمّس لعقيدته الإسماعيليّة المتطرّفة.

النّهضة الفنيّة والثّقافيّة في عهد المعزّ

قضى المنصور الخليفة الفاطمِيُّ الثّالث على أخْطرِ ثورة موجّهة ضدّ دوْلتِهِ وهِي ثورة الخارجيّ أبي يزيد صاحب الحمار. فلمّا خلفَهُ ابنُهُ المعزّ لدين الله حرص على استتباب الأمن في مملكته الواسعه فشملها الرّخاء وازدهر الفن والأدب وهبّت ريح العلماء وبَرَزَ من بينهم خاصّة فِي العلوم الفقهيّةِ والمذهبِيّة قاضِي القضاة الإسماعيلي أبو حنيفة النّعمان مؤلِّف رسالة «افتتاح الدّعوة» وكتاب «المجالس والمسايرات» وكتاب «الهمّة فِي آداب أتباع الأئمّة» وكتاب «دعائم الإسلام» وغيرها.

أ- الفنّ المعماري

اعتنى الفاطميّون بالعمارة فشيّدُوا المساجد والقصور فِي المدن التي أنشأوها مثل المهديّةِ والمنصوريّةِ بإفريقيّة والمسيلة أو المحمّديّة بالزّاب فِي الجزائر والقاهرة التي وضع جوهر أساسَها بمِصْـــرَ فِي 18 شعبان سنة 358 = يوليو سنة 969 م بِأمْرِ المُعزّ وبنى جَامِعها الأزْهر المُعْتبَرَ أقْدمَ جامعات العالم. وقد زخرف

الفاطميّون قصورهم بأنواع الزّينَةِ وضروب النُّقُوشِ واعتنوا بتجميل الحدائق وأجروا إليها المياه فتغنّى بها تميم ابن المعزّ معاصر ابن هانيٍ وأبدع تصويرها في ديوانِهِ . وأشهر ما بنى المعزُّ بالمنصوريّة «قصر البحر» . سمّاه كذلك لأنَّ فِي وَسَطِهِ بركةً تشبه البُحيْرَة. وبنى له جوهر فِي القاهرة القصر المعزّي ويعرف أيضاً بالقصر الكبير فكان مضرب الأمثال فِي الرّوعَةِ والفخـامة ثمّ بنى الخليفة العزيز قُبَالَتَهُ القصر الصّغير .

ب- النشاط الثقافي

عاش المعزُّ في بيئة علميّة فشغف بالعلوم وخاصّة ما يتّصل منها بالدّعوة الإسماعيليّة وتفقّه فيها حتّى صار يحاضر العلماء والفقهاء ويعقد مجالس علميّة يحضرها سراة الأشياع ورجال الدّولة والأُدباء. وكانت خزائن كُتبه فِي المنصوريّة بإفريقية ثم في القاهرة بمصر زاخرة بالمخطوطات الثّمينة . ويروي المؤرّخون أنّه كان يجيد عديدا من اللُّغَاتِ إلى جانب العربيّة وهي البربريّة واللاتينية والصقلـية والاسبـانية والسودانيّة . وروى القـاضي النُّعمان الفقيه الإسماعيليُّ المغربيُّ في «المجالس والمسايرات» أنَّ المعزَّ كان يقـول : «واللهِ ما تلذّذت بشيء تلذّذي بالعلـم والحكمة» وشهد له بأنّهُ «نظر في كلّ فنّ وبرع في كلّ علـم» .

واشتهر المعزُّ برعاية العلماء والأُدباء فكان يشجّعهم ويُقرّبهُم إليه ويغدق عليهم العطاء ويفتح لهم ولطلاّب العلم من الأشياع أبواب قصره بالمنصوريّة ليُطَالعوا كتبه. وكان يشعُّ عليهم جميعا بسَعَةِ معرفته حتّى أنَّ القاضي النعمان ــ وهو حجّة وبرهان في المذهب الإسماعيليّ وفي سعة الاطّلاع ــ يقف من المعزّ موقف التّلميذ من أستاذه فيجلّه .

وتتجلّى رغبة المعزّ في نشر المبادئ الإسماعيليّة بين الخاصة والعامّة في إشارته على قاضي قضاته النّعمان بإلقاء محاضرات في عقيدة الفاطميّين على جمهور النّاس بعد صلاة الجمعة وصلاة العيدين في المسجد الجامع بالمنصوريّة وبتدريس علم الباطن لخاصّة الأشياع في مجالس الحكمة بقصر المنصوريّة في إفريقية ثم في القصر الشرقي الكبير بالقاهرة فسنّ بذلك سُنّة ثقافية جاراه فيها خلفه من بعده وخاصّة ابنه العزيز بالله إلا أن السنّيّين كانوا ينظرون إليها بعين الرّيبة.

ويعترف أبو حنيفة النّعمان بأنّ المعز كان كاتباً بليغاً يؤلّف الرّسائل والخطب في المذهب الإسماعيلي ويأمره بنشرها بين النّاس وبإلقائها عليهم.

وفي عهد المعزّ راجت سوق البيان والشعر. وهل أدلّ على ذلك من أن ابنه تميماً كان شاعرا بليغاً مبدعاً في فنّ الروضيّة والنّوريّة وفي وصف مجالس اللّهو. وله في ديوانه المطبوع أشعار مذهبيّة. إلا أنّ هذا النّوع من القريض اكتمل مع معاصره ابن هاني الذي تغنّى بمآثر المعز في مطولات شعريّة وغالى في تقريظ إمامه ولهج بأنّ الفواطم أحقّ بالخلافة من غيرهم. وإذ بلغ أعلى قمّة الشّعر في إفريقيّة فنافس أبا الطّيّب في سَيْرُورَة الشّعر وجودته فقد لقّبَه المعجبون به بـ«متنبّي الغرب» تشبيهاً له بلقب «متنبّي الشّرق» أبي الطّيب الذي ملأ الدّنيا وشغل النّاس حسب قولة شهيرة لابن رشيق القيرواني في كتابه «العمدة».

ج - ترف الفاطميّين

في عهد المعز امتلأت خزائن الدولة الفاطميّة بالأموال. ومردّ ذلك الإثراء تنظيم مالي مُحكم وتطوّع الأشياع لدفع

خُمُس أموالهم للدَّولة ، وسيطرةُ الأُسطول الفاطميِّ على الطُّرق التِّجاريَّة البحريَّة ، وامتلاكُ الفواطم طريق الذَّهب الإفريقيِ، وكثرةُ غنائمهم الحاصلة لهم من الفتوحات والغزوات كما تبيِّنها مُعزيَّةٌ لابن هانيِ فيها مدحٌ لجوهرٍ بعد رجوعه مظفَّرًا من المغرب الأقصى ومعه الهدايا الفاخرة للمعزِّ (راجع فيِ المنتخبات «هديَّة من أعطى النصيحة حقَّها»)

وبتلك الوسائل تجمَّعَ فيِ خزائن المعزِّ من المال ما لم يتجمع فيِ خزائن أسلافه . ويَسُوقُ المَقْريزيِ فيِ «اتعاظ الحُنفا» والقاضيِ النُّعمان فيِ «المجالس والمسايرات» أمثلة دالة على وفْرة مال المعزِّ كإشراكه الرَّعيَّة فيِ أفراحه بمناسبة ختان أبنائه سنة 351 ﻫ ، وتعهُّده بالإنفاق على صغار المُخْتتنين فيِ جميع أنحاء مملكته طوال شهر ربيع الأوَّل من نفس السَّنة ، وإعطائه كلَّ واحد منهم كسوة ومائة وخمسين درهماً فكلَّفهُ ذلك أموالا طائلة لا أدلَّ على وفْرتها من أنَّه أرسل إلى صقلِّيَّة وحدها بمناسبة الختان خمسين حمْلاً تُقدَّرُ بنصف مليون من الدَّنانير وهيِ عُمْلةٌ ذهبيَّةٌ فتقضَّت أيَّام شهر ربيع الأوَّل سنة 351 للهجرة بين «أعياد ومسرَّات وأفراح وهبات يكل وجه وجهة من مملكة أمير المؤمنين» حسب شهادة قاضيِ قضاته النُّعمان . ويكشف المقريزيِ فيِ «المواعظ والاعتبار فيِ ذكر الخطط والآثار» عن ضخامة التَّركة التي خلَّفتْها بنْتا المعزِّ ـ رشيدةُ وعبْدةُ ـ فيقول : «ووُجد للسيِّدة رشيدة ابنة المعزِّ حين ماتت فيِ سنة اثنتين وأربعين وأربعمائة ما قيمتُه ألفا ألفِ دينار وسبعمائة ألف دينار من جملته ثلاثون ألف ثوب خزٍّ مقطوع واثنا عشر ألفاً من الثِّياب المصمَّتة ألواناً (وهيِ ثياب من خزٍّ جميعها ابريسم لا يخالطها قطن ولا غيره) . ومما

وجد لها مُعمَّمَات بجواهرها من أيام المعزِّ . . . ووجد لعبـدة بنت المعزِّ أيضا ـ وماتت في سنة اثنتين وأربعين وأربعمائة ـ ما لا يحْصَى » وهاك عينة من « المجالس والمسايرات » للقاضي النُّعمان تبيّن لك حِرْص المعزِّ على إسعاد أشياعه وعبيده ورعاياه الفقراء في سائر أيّامهم قال المعزّ : « والله لقدْ كفيْنا كثيرا ممّن اختصصناه منهم من أَوليائنا وعبيدنا أَمر دنياهم وأَطعمناهم ممّـا نأكل وكسوناهم ممَّا نلبس وشاركناهم فيما نملك . وإنَّهُمْ ليأكُلُون من ذلك ويلبسون ويملكون ما لا تعبَ ولا نصب وَلا كلفة عليهم فيه ، وإنَّا لنتعب وننصب ونتكلّف . ذلك لهـم فهم على ذلك أخْفضُ عيْشا منَّا فيه وأقلُّ تعباً واهْتمَاماً به . »

وبثرْوَته الوَاسعة استطاع المعزُّ أنْ يُوَاجه نفقات العديد من الحملات العسكريَّة البرِّيَّة والبحريَّة في شتّى الجهات القريبة والنَّائيَة وأن يزوِّد جوهَرًا في حملته إلى مصر وحدها بأربعة وعشرين مليونا من الدّنانير . وقد أمره بسَبْك الذّهب على شكل الطواحين ووضعه على ألف بعيرٍ . وَلعلَّه أراد بذلك ترغيب المصريِّين في الفواطم . ويؤيّد هذا الرّأي قوْلُ ابن هاني في مدح جوهر عندما تمّ له فتحُ مصْـر :

«ومَا ضرَّ مصْرًا حين ألقتْ قيادها إليْك أمَدَّ النِّيلُ أمْ غالهُ جَزْرٌ»

ويفهم من هذا البيت أن جَوْهرًا أغنى المصريّين عن النِّيل وهو معين حياتهم . ولعلَّ في ذلك إشارَةً إلى الثَّرْوَة العظيمة التي حوَّلها من إفْريقيَّة إلى مصْرَ .

ويظْهر ثراءُ الفاطميّين أيضا في القصور الفاخرة التي شيّدوها في إفريقيّة ثُمَّ في مصْرَ وأحاطوها بالحدائق وزيَّنُوها بالفوّارات . وَتشهدُ الآثارُ الباقية في القاهرة القديمة بأنَّ تلْك المدينة كانت بقصورها وأسواقها ومساجدها آية في الإبـداع .

ومن مَظاهر الأُبَّهة والثَّراء مجلسٌ بَناهُ إبراهيم بن جعفر ابن حَمْدُون ووَصَفه ابن هانى بأبْيَات رائعة في قصيدة استهلها بتصوير غيْرَة الشَّمس من حُسْن ذلك المجلس وذكر تضاؤُلَ لمعَانها بجانب لمعانه إذ كان مَكْسوًّا بالذَّهب والفضَّة فقال :

« الشَّمس عنهُ كليلةٌ أَجْفانُها　　عبْرَى يضِيقُ بسِرِّها كِتمانُها
« لوْ تستَطِيعُ ضِياءَه لدنتْ له　　يعْشو إلى لمعانِهِ لمعانُها »(1)

ومنها قوله :

« إيوانُ مَلْكٍ لوْ رأتْهُ فارسٌ　　ذُعِرَتْ وَخرَّ لِسمْكِهِ إيوانُهـا »
« أَوَما ترى الدُّنْيا وجامِعَ حُسنِهـا
صغْرى لديْهِ وهيِ يعْظُمُ شأنُهـا »
« تغْدُو القُصُورُ البيضُ فِي جنباتِهِ
صُوَرًا إليه يكِلُّ عنهُ عِيانُها »(2)
« وَالقبَّةُ البيضاءُ طائِرَةٌ بِـــه
تهْوِي بمُنْخرق الصَّبا أعنانُها »(3)
« بُطْنانُها وشْيِ البُرودِ وَعصْبُهــا
فكأنَّما قُوهِيُّهـا ظُهْرَانُهــا »(4)
« نِيطت أَكالِيـلٌ بِها منْظُومـة
فغدا يُضاحِكُ دُرُّهـا مَرْجانُهـا »

---

1) يعشو : يقصد . وأراد أن لمعان الشمس يستضيء بلمعان ذلك القصر .

2) صُوراً : جمع مفرده أصْوَرَ يَصْوَرُ مِنْ صَوِرَ صَوَرًا بمعنى مال . يقال «هو أصْوَرُ إلى كذا» إذا مال عنقه ووجهه إليه . وهنا بمعنى تنظر القصور المحيطة بهذا القصر الفاخرمعجبة به فكأنها تميل أعناقها إليه.

3) المنخرق : السريع – منخرق الصبا : ريح الصبا السريعة

4) البطنان : الواحد بطن – الظهران: الواحد ظهر – القوهي : أبيض منسوب إلى قوهستان .

«فأدِرْ جُفُونَكَ وَاكْتحِلْ بِمناظِرٍ
غشَّى فِرِنْدَ لُجينِها عِقيانُهـا»(1)
«لِترَى فُنُونَ السِّحْرِ أَمْثِلةً ومـا
يُدْرِي الجهولَ لعلّها أَعْيانُهـا» .

ومن مظاهر ترف الفاطميِّين شغفُهم بطراز النَّسيج الفاخر المذهّب وولعهم بالتُّحفِ النَّادرة التي لنا منهـا بعض البقايا بالبلاد التونسية في المتحف القومي بباردو وبمعهد الفنون الأثريَّة بدار حسين في تونس العاصمة وفي متحف رباط سوسة وكذلك في متحف رباط المنستير وفي المتحف الجديد بالقيروان وخصوصاً في متحف الفنِّ الإسلامي بالقاهرة وفي متاحف أوروبّـا

ولِفرْطِ اهتمام المعزِّ بالمواسِم والأعيادِ الدِّينيَّةِ والقومية وضع لها المراسم لتنظيمها وأنفق للاحتفال بها مالاً كثيرا واتخذها مناسبات لجذب قلوب الرعية اليه وحملها على اعتناق مذهبه الإسماعيليِّ كما في عاشوراء يوم ذكرى استشهاد الحسين بكربلاء .

وبالرّغم من مغريات الملك وترف الحياة في القصور فإنَّ المعزَّ قد ضبط من نفسه وتظاهر للمغاربة بالتَّقشُّف خِلافاً لما كان يفعل بنو العبَّاس في المشرق وبنو أميَّة في الأندلس. ولذا قال ابنُ هانيٍ : إنَّ الفواطم تُلهيهم العبادة كلما ألْهى العُودُ والمزمارُ «أبْناءَ الطَّليق» (أي العبَّاسيِّين) و «آل الطَّريد» (أي الامويين) كما اعتاد تسميتهم (راجع الأبيات بعنوان «ماشئت»

1) الفرند : هنا الثياب الموشاة ــ العقيان : الذهب الخالص.

في المنتخبات) . وكان المعزّ حريصاً على الظُّهور في مظهر الإمام المستقيم الورع السَّاهر على إسعاد أشياعه كما في وصيَّتِهِ إلى شيُوخ كتامة . قال المقريزي في «اتِّعاظ الحنفاء بأخبار الخُلفا» :

«استدعى المعزُّ في يوم شَات بارد الرِّيح عدَّة شيوخ وأمرَ بإدْخالهم إليه من غير الباب الذي جرى الرّسم به فإذا هو في مجلس مُربَّع كبير مفروش باللّبُود على مطارح وحوله كساءٌ وعليه جُبَّةٌ وحواليه أبوابٌ مفتَّحةٌ تُفضي إلى خزائن كتب وبين يديه مرفع وذواة وكُتُبٌ حواليه فقال : «يا إخواننا أصبحتُ اليوم في مثل هذا الشِّتاء والبرد فقلت لأُمِّ الأُمراء – وإنها الآن بحيث تسمع كلاميَ –: أَتُرى إخواننا يظنُّون في مثل هذا اليوم نأكلُ ونشرب ونتقلب في المُثقل والدِّيباج والحرير والفنك والسَّمورِ (وهما حَيَوَانانِ مثل الثعلب جِلدُهما من أحسن الفِرَاء) والمِسْك والخمر والغناء كما يفعل أربابُ الدنيا ! ثُمَّ رأيْت أن أنفذ إليكم فأحضركم لتشاهدوا حالي إذا خلوت دونكم واحْتجَبْتُ عنكم وإنِّي لا أفضلكم في أحوالكم إلاَّ فِيمَا لا بُدَّ لي منه من دنياكم وبما خصَّنِي الله بهِ من إمامتكم وإنِّي مشغول بكتب تَرِدُ عليَّ من المشرق والمغرب أجيب عنها بِخطِّي وإنِّي لا أَشْتغل بشيء من ملاذِّ الدُّنيا إلاَّ بِمَا صَان أرواحكم وعمَّرَ بِلادكم وأذلَّ أعداءكم وقمع أضدادكم فافعلوا يا شيوخ في خَلْوَتِكُم مثلما أفعله ولا تظهروا التكبُّر والتجبُّر فينزع الله النعمة عنكم ويُنقلهَا إلى غيركم ليتَّصِل فِي النَّاس الجميل ويكثر الخير وينتشر العدل . وأَقْبِلُوا بعدها على نسائكم والزموا الواحدة التي تكون لكم ولا تشرهوا إلى التَّكْثِير منهنَّ والرَّغْبَة فيهنَّ فيتنغَّص عيشكم

وتعود المضرة عليكم وتنهكوا أبدانكم وتذهب قوتكم وتضعف غرائزكم . فحَسْبُ الرجل الواحدة ونحن محتاجون إلى نصرتكم بأبْدانكُمْ وعقولكم واعلموا أنّكم إذا لزمتم ما آمركم به رَجوْتُ أن يقرِّب الله علينا أمر المشرق كما قرّب أمر المغرب بكم. انْهَضُوا رحمكم اللهُ ونصَرَكُمْ».

بهذه النّصيحة إلى رجال كتامة أنصار الفاطميين منذ افْتِتاح دعوتهم بالمغرب كشف المعزّ عن نشاط يوم من أيامه ولا يُستبعد أن يكون ذلك مطابقاً للحقيقة والواقع ودلّ رجال كتامة ـ وهم عِمَادُ مُلْكِهِ ـ على انضبَاطِهِ وحسن سلوكه في سياسةِ دولة بَلغت في عهده ذرى مجدها كما نتبيّنه في أشعار ابن هاني :

ديوان ابن هاني

نُشِرَ الدِّيوانُ لأوّل مرّة في مطبعة بولاق بالقاهرة عام 1274 هـ 1855 م ثمّ طبع بالتّوالي في بيروت عام 1884 وعام 1886 وعام 1907 قبل أن يصدر الدكتور زاهد علي في القاهرة سنة 1933 طبعة جيّدة للدِّيوان مشفوعة بشروح ضافية وبمقدِّمة طويلة تضمّنت معلومات مفيدة عن شخصية ابن هاني وعن شعره .

وأعيد طبع الدِّيوان مرات أخرى بدار صادر ببيروت إلاّ أنّ تلك الطبعات البيروتيّة المتقدِّمة والمتأخِّرة اقتصرت على تذييل القصائد ببعض الشروح اللُّغويّة وعلى تقديم الدِّيوان كلِّه بتعريف موجز بالشاعر وبذكر أسماء من ملحهم في أوائل القصائد.

أغراضه الشعريّة

إذا استثنينا ثلاث قصائد في الرِّثاء واثنتين في الهجاء وقصيدتين وسبع مقطوعات في الغزل واثنتي عشرة مقطوعة

في الوصف وأربعاً أخرى متنوِّعات فإنَّ جُلَّ ديوان ابن هاني في المدح وخاصَّة في مدح المعزِّ الذي خصَّهُ الشَّاعر بإحدى وعشرين قصيدة ومقطوعتين بلغ عدد أبياتها 1785 . وسُمِّيت كلُّها «المعزِّيات» باسم الخليفة الفاطمي الرابع وعليها قامت شهرة ابن هاني ومكانته الأدبيَّة .

وله في مدح جعفر بن علي بن حمدون والي الزاب خمس عشرة قصيدة ومقطوعتان، وفي مدح أخيه يحيى بن علي خمس قصائد وأربع مقطوعات وفيهما معاً قصيدة . ومجموع الأبيات التي قالها ابنُ هانِي في ذينك الأخوين ألفان وستمائة وستة وأربعون .

ومدح القائد جوهراً بقصيدتين. وخصَّ أبا الفرج محمَّد بن عمر الشَّيباني أحد قوَّادِ المعزِّ وعُمَّاله بأربع قصائد. وَمَجَّد ابراهيم بن جعفر بأربع. وَقرَّض كُلاًّ من أفلح النَّاشب عامل برقة والحسن بن مهذَّب الكاتب بقصيدة . وله في مدح القائد جعفر بن فلاح مقطوعة واحدة، وفي ممدوح مجهول اثنتان .

وتطول مدائحه عموماً ويمتزج غرضها الأَصلي بأغراض أخرى وصفيَّة أو وُجْدانيَّة أوجدليَّة مذهبيَّة وسياسيَّة . وفي فواتح العديد من مدائحه نسيبٌ وذمُّ الزَّمانِ وتغنٍّ بالخمرِ ووصف كثيرٌ متنوِّع للطَّبيعة وللأُسطول .

- الدّيوان مصدر ديني وتاريخي

يُعَدُّ الديوانُ مصدراً هاماً لدراسة العقيدة الإسماعيلية . وإذْ أشارَ فيه الشَّاعر إلى النَّوايا التَّوَسُّعيَّة للفواطم حكَّام إفريقيَّة فلهُ قِيمةٌ تارِيخيَّةٌ وَثائِقِيَّةٌ تعين الباحث على مزيد من فهم

سياسةِ الفواطِمِ الذين كانُوا يحْلُمُون في القرن الرابع الهجريّ بالإطاحة بملك بني العباس وعرش بني أميَّة ويقــومــون بردع الرومِ في البحر الأبيض المتوسِّطِ وخصوصاً في صقليَّة.

وفي الدِّيوانِ معلوماتٌ مفيدة عن المعارك البريَّة والبحريَّة التي خاضتها الجيوش الفاطميَّةُ وفيه وصف ثرِيٌّ طريفٌ للسُّفُنِ الحرْبيَّة (راجع مثلاً «وصف الأسطول» في المنتخبات).

القيمة الأدبية لشعر ابن هاني

لقصائد ابنُ هاني قيمةٌ أخرى أدبيَّة ترفع ذلك الأديب إلى مصفِّ الشعراء العمالقة مثل المتنبي رغم الأحكام المغرضة التي أبداها في شأنه المعرِّي في «رسالة الغفرانِ» وابن شرف القيرواني في «مسائل الانتقاد». وإنَّ شدَّة تعلُّقِهِ بمذهبهِ الإسماعيليِّ وغلوِّه في مدح إمامِه المعزّ قد جلبا له نقمة النقَّاد القدامى فاستنقصوا شعره وشبَّهوه بالأرْحَاء التي تدور فارِغةً فيُسْمعُ لها دوِيٌّ ولا يُرَى لها طحْنٌ.

الفن الشعري عند ابن هاني

نسج ابن هاني أشعاره على منوال القدامى مِن حيث جزالةُ اللَّفظِ وكثْرةُ الغريب والمعاني التي لا تُستخرج إلاَّ بالغوْص. واغترف من حياض قريضهم القوَالِبَ الشِّعريَّة. واتَّبعهمْ في الأغراض التَّقْليدِيَّةِ. وحاكاهُمْ في الأقْسام الثَّلاثة التي تنبني عليها القصيدة المثاليَّة وهي: الاستهلال والانتقال والغرض الأصلي كما في مطوَّلته التي مدح بها المعزّ وافتَتَحها بقوله:

«أَرَيَّاكِ أَمْ رَدْعٌ مِن المِسْكِ صائكُ
ولحْظُكِ أَمْ حدٌّ مِن السَّيفِ باتِكُ»

«وَأَعْطافُ نَشْوى أَمْ قَوَامٌ مُهفْهفٌ
تأوّدَ غُصْنٌ فِيهِ وارْتجَ عانِـــــكُ»

غيرَ أنّه تخلّص أحياناً من تلك الضّغوط فعدل عن الاستهلال كما في قصيدته «هل فُتحت مصرُ؟». وعوّض النّسِيبَ في قصائد أخرى بوصف الطبيعة أو بمواضيع ذاتِيّةٍ مثل الزمان وشكوى المشيب ورثاء الشّبابِ. ولم يتحرّر ابن هانِي من الشّعرِ العمودي العتيق بل لازم القافية الواحدة والبحر الخليليّ الواحد في كلّ قصيدة. ولِفرْطِ وَلعِهِ بالبدِيع وشِدّةِ ميْلِهِ إلى توْعِيرِ اللّفْظِ – وإن كانت أصوات حروفِهِ غير متنافرَة عموماً – فقد شابه أبا تمّام إمام أهل الصّنعة في صنعته وشعراء الجّاهلِيّةِ فِي غرِيبهم.

بيد أنّ الحكم على مستوى لغة ابن هانِي بالغرابة ينطبِق خصوصاً على قصائِدِهِ الموجّهة إلى الخاصّةِ. أمّا إذا كان في موقف الدّاعي المتطوّع لِنشْرِ العقِيدةِ الإسماعِيلِيّةِ بين جمهورِ النّاسِ ولترغيب الأشياع في طاعة الإمام فإنّ لغته تلِينُ وتسْهُلُ على الأقلّ في مفاتيح القصائد كما في هذا البيت من قصيدته «فتح مصر» وهو بيتٌ يشبهُ النّثر:

«تقُولُ بنُو العبّاسِ هل فُتِحتْ مِصْرُ
فقُلْ لبني العبّاسِ قدْ قُضِيَ الأمْرُ»

وتذكّرك كثرةُ المحسّنات البديعِيّةِ والأساليب البيانيّة في شعر ابنِ هاني ماوَرَد منها فِي أشْعارِ مُعاصِرِيه ومنْ سبقهُ في الزّمن. بيد أنّه لم يكن مجرد مقلّد لغيره من الشّعراء إذ ساعده طبعه على بُلُوغ الطّرَافةِ من جهة حُسنِ إخراج المحسّنات البديعيّة مثل الجناس والطّباق والجمع والتّفريق والمبالغة والتّرصيع

والتَّوَازن المقطعِي وكذلك الأَساليب النبيانيَّة مثل التَّصوير الشِّعرى الواقعِي مباشرَةً أو مجازًا بواسطة التَّشابيه والاستعارات والكنايات في سياق جديد تُطابِقُ زخرفته اللَّفظِيَّة أشباه معانيه وخاصَّة عندمَا يصِفُ الشَّاعِرُ المواقِف البطوليّة وينتصِبُ مُدافعا عن عقيدتِهِ وإمامِهِ كما في المُقابلاتِ المتكرِّرةِ بين النُّورِ والظَّلام اللذين استعارهما للحقِّ والباطلِ والهداية والتَّضليل في موازنات بين الفواطم وأعدائهم بنِي العبَّاس وبني أميَّة والروم .

ويلطِّفُ ابن هانِي من جفاف الصَّنعة في « المُعزِّيَّات » خاصة بخياله الشِّعْرِي وَحِسِّهِ الموسِيقِي وعاطِفتِهِ الصَّادِقة . فإذا اجتمعت تلك الوسائِلُ الثَّلاثُ فِي قرِيضه أحدثت في نفسِك الطَّرَب رغم أنَّ الشَّاعرَ يُوعِّر عليك المعنى أحياناً فلا يُظفِرُك بهِ إلاَّ إذا رَجعْتَ إلى الشُّروح اللُّغويَّةِ .

وقد تطول قصائده فتتجاوز مائة بيت وتبلغ أحياناً مائتينِ كما في قصيدته التي بعث بها إلى المعزّ في مصر (راجع عينات مِنْها فِي المُنْتخباتِ بعنوانِ «لديك جنود الله»). ومع ذلك فإنَّك لاتستثقِل طول النَّفَسِ إذا يُطْرِبُك الإيقاعُ العذْبُ فِي شِعرِهِ .

ومن خصائص فنِّهِ الشِّعري أيضاً جمعُهُ بين المُبالغاتِ الشِّعْرِيَّةِ اللَّطِيفة و المغالاةِ العقائديَّةِ الجامِحةِ، ومُزَاوَجتهُ بين أسلوب التَّرْغِيب وأسْلُوبِ التَّرهيب، وتأرْجُحهُ بين النَّفَسِ الغِنائِي الملحمِي والتَّقرِير الخطابِي التَّعْلِيمِي في مدح المُعِزِّ وأمراء دولتِهِ وقُوَّادِهِ وفي وصف الأُسطولِ والمعارك البحرِيَّةِ والبرِّيَّةِ . وهاكَ فِي ما يلِي مُجْمل خصائص كلِّ غرض من أغراض شعر ابن هانِي على حِدَةٍ .

أ- المديحُ

جُلُّ شعرِ ابن هانِيٍ - كما علِمْتَ - فِي المدِيح . ومن الإنصاف أن يُعترف لقائله بصدق اللَّهجةِ في ذلك الغرض الذِي أَمْلَتْهُ المُناسباتُ؛ لأنَّ الشَّاعِرَ - رَغْم استجدائهِ بتمجيدِ المعزّ وقُوَّادِهِ وولاته - مُتحمِّسٌ لعقيدةٍ آمن بها حُماتُهُ الفاطِمِيُّون وَأَشْياعُهُمْ واستوحوها في سُلُوكِهم المذهبيّ واعتمدوها لِتحْقِيقِ مطامِحِهِم السِّياسِيَّةِ أو على الأَقلّ بعض تلك المطامح فأطاحُوا بمُلْكِ بني الأَغلب سنة 296 هـ وأقاموا على أنقاضه بإفريقية دولةً قوِيَّة اتَّسعتْ مناطِقُ نُفُوذِها شيئاً فشيْئاً من المغرب إلى المشرق . ولمَّا وَافق وُجْدانُ الشَّاعِرِ مناسبات المدِيح سرى في قصائده - وخاصَّة المعزِّيات - نَفَسٌ غِنائِيٌّ جانس المواقف البُطُوليَّـة التي وقفها المعزّ وقوَّادُهُ وجنُودُه . فقد اعتبرَ ابنُ هانِيٍ الخليفة الفَاطِمِي الرَّابع مُنْقِذًا جاء لِيذُود الشَّرَّ عن دار الإِسلام ويَملأَها عدْلاً وَصلاحاً بعدما ملئت ظلماً وفسادًا كما في قوْلِهِ :

«فتَربَّصوا فالله مُنْجِزُ وَعْـــدِهِ

قدْ آنَ للظَّلْماء أنْ تتكشَّفـــا»

«هذا المُعزّ ابْنُ النَّبيّ المُصْطفى

سيذُبُّ عنْ حرَم النبِي المُصْطفى»

وفِي تعلُّقِ ابْن هانِيٍ بإمامِهِ ما يُشْبهُ التَّقْدِيسَ وذُهُولَ العابد أمام المعْبودِ. فهوَ يعتبرُ المُعزَّ عِلَّةَ الدُّنْيا وسببَ الكونِ وإماماً معصُوماً . وكلُّ ذلك لعمرِي غُلُوٌّ مذهبِيٌّ ينعاه عليه المتمسِّكُون بالسُّنَّةِ من بين المؤرِّخين ونُقَّادِ الأَدب .

وفضلاً عن المعاني الإسماعيلية التي تميَّزت بها مدائحه عن المدائح التقليدية يردِّد ابن هانئ في تمجيد الولاة والقوّاد خاصةً مناقب تقليدية دأب الشعراء من قبله على نعت البطل العربي بها مثل الكرم والذكاء والعدل والحسب والنسب والشجاعة. ثمَّ يضيف إليها معنى مذهبياً هو التنويه بإخلاص الولاة والقوّاد لإمامهم المعزّ، والإشادة بدورهم في دعم دولة الفواطم كما في هذه الأبيات التي مدح بها أفلح النّاشب عامل برقة:

«أمُعزَّ أنصار المُعِزِّ من الوَرَى
وَالمنزِلَ النُّصَّابَ دارَ هـوَانِ»
«بك دانَ مُلكُ المَشرِقينِ وأهلُـه
وأناب بعد النَّكْثِ والخُلْعانِ»
«إنّا وَجدْنا فتحَ مِصرٍ آخـــراً
لك ذِكْرُهُ فِي سالفِ الأزْمـــان»
«فبِعزْمِك انهدَّتْ قُوَى أرْكانِها
وَبِقُرْبك امْتدَّتْ إلى الإذْعـانِ»
«وَطَّأت بالغارَاتِ مرْكَبَ عِزِّهـا
وَالجيْشَ حتَّى ذلَّ للرُّكْبـانِ»

ويتجلّى وُجْدانُ الشّاعِرِ مِنْ جهةٍ أُخْرَى فِي كُرْهِهِ الشَّدِيدِ لِخُصُوم الفوَاطِم وفِي تهكُّمِهِ بهم. ويتجلّى أيضاً في تغنّيهِ بالمعاني الدِّينيّةِ والسِّياسِيّةِ المستمدّة من عقيدته الشِّيعِيّة.

ب - الهجاء

إذا نظرت في الهجاء كغرض مستقلٍّ بذاته في ديوان ابن هانئ فإنّك لاتجدُ منه إلاّ قصيدتَيْنِ إحداهما في هجاء الكاتب الوهراني والأُخرى في ثلب شخص أعار الشّاعر نسخة من ديوان

المتنبي ثم ألحف في استرجاعها . والقصيدتان تدلان على ضعفه في تعبيرِ النّاس حسب الطّريقةِ التّقليديّةِ المتمثلة فِي تعدادِ المثالبِ الخَلقيّةِ والخُلُقيّةِ . بيد أنّه ينجح فى مُنافحةِ أعْداء مذهبهِ وإمامهِ – وهم بنو أميّة وبنو العبّاسِ والرّوم – عندما يُجادِلُهم في سياق مدح الخليفة الفاطميّ الرّابع في « المعزّيات » وفي مدائح أخرى مهداة إلى ولاة الفاطميين وقوّادهم فيستمدّ المعانِي من الخلافات العقائديّةِ ومن الأحداث التّاريخيّةِ . وهكذا يبتعد عن القوالب المألوفة في الهجاء التّقليدِي وَيُسْمعك – وهوَ يُنافِحُ بنِي العبّاس ومنْ رَضِي بحُكْمِهِمْ ويمجّدُ المعزّ – مثل هذه الأبيات المُسْتوْحاةِ من واقع الشّرْقِ العرَبيّ آنذاك :

« نامتْ مُلُوكٌ فِي الحشايا وانْثنتْ
كسْلى وطَرْفُك بالسُّهادِ كحِيلُ »
« لنْ ينْصُرَ الدّينَ الحنيفَ وَأَهْلَه
مَنْ بعْضُهُ عن بعْضِهِ مشْغُــــولُ »
« تُلْهيك صَلصلةُ العوَالي كُلَّمــا
أَلْهتْ أولئِك قيْنةٌ وشَمُـــولُ »
« وبذاك حسْبُك أنْ تُجرّرَ لامــةً
وَيحسْب قوْم أنْ تُجَرَّ ذُيُـــولُ »
« لاتعْدَمَنّك أمّةٌ أغْنيْتَهـــــــــا
وَهَدَيْتَهــا تَجْلُو العَمَى وُتنِيــلُ »

ج . الرثاء

مَرْثِيّاتُ ابنِ هانِي قلِيلةٌ لا تتجاوَزُ ثلاث قصائد فلذا يُعتبر مُقِلاً فِي الرِّثاء . وهْوَ مع ذلك يُجيدُ تصويرَ مأساة النّفس البشرِيّة

عِنْد مواجهةِ الموتِ أوْ تقلُّصِ الشَّبَابِ. وفي الرِّثاء يُكْثِر من الحِكَم على غِرَارِ المتنبِّي، وشكوى المشيب، ورثاء الشَّباب كشاهد على صدقِ لهجةِ ابن هانِيِ فِي فنِّ الرِّثاء إذَاجانس وجدانـه :

«قدْ سارَ بِيِ هذا الزّمانُ فأوْجفا
وَمحَا مشِيبي مِنْ شبابي أَحْرُفـا»

«إلاّ أَكُنْ بلَغتْ بيِ السِّنُّ المدى
فلقدْ بلغْتُ مِن الطَّرِيقِ المَنْصَفَا»

«أمَّا وَقدْ لاح الصَّباحُ بِلِمَّتِـي
وانْجابَ ليْلُ عمَايتِي وَتكشّفـا»

«فلئِنْ لهوْتُ لأَلْهُوَنَّ تصنُّعـاً
وَلَئِنْ صَبَوْتُ لَأَصْبُوَنَّ تَكَلُّفـا»

«وَلئِنْ ذكَرْتُ الغانِياتِ فخطرَةٌ
تعْتادُ صبًّا بالحِسانِ مُكلَّفـا»

وتسرِي في هذا الاستهلال كآبةٌ تُحْدِثُ الحالَ الشِّعْرِيَّ المُناسبَ لِأَبياتِ الانتقال فيِ قصيدة مدح بها المعزّ وقـدّم استِعْرَاض مَناقبِهِ بِتَعدادِ مصائبَ نزلتْ على الشَّرْقِ العربيِّ فيِ زمانه قبل انتقال المعزِّ إلى مصر. ومنها حصارُ أنطاكيّة فيِ الشَّام من قِبَلِ الرّوم وتسرّبُ هؤلاء إلى الحجاز وعبثُهُمْ بِالحَرَمَيْنِ. وفيِ هذا المعنى يقول ابنِ هانيِ مُسْتصْرِخاً أحْرَارَ المُسْلِمِين :

«فكأنَّمَا وَقع الصَّرِيخُ إليهما	بِحصَار أَنْطاكِيَّةٍ فاسْتُرْجِفا»
«ثغْرٌ أضاع حَرِيمَهُ أَرْبَابُـهُ	حتَّى أُهِين عزِيزه وَاسْتُضْعِفا»
«مَا لِيِ رَأَيْتُ الدِّين قلَّ نصِيرُهُ	بِالمَشْرِقيْنِ وَذلَّ حَتَّى خُوِّفا»
«أَسَفِي على الأَحْرَارِ قلَّ حِفاظُهُمْ	إنْ كان يُغْنِي الحُرَّ أنْ يَتأسَّفا»

«أَيَسُرُّ قوْماً أنَّ مكَّــةَ غُــودِرَتْ
بِمَجَرِّ جَيْشِ الرُّومِ قاعاً صَفْصَفــا»
«أوَ أَنَّ مَلْحُــودَ النَّبِيِّ وَرَمْسَــهُ
بِمَدارِجِ الأَقدامِ يُنْسَفُ مَنسَفا»

د. الغَــزل

يعتبر ابن هانئ مقلاً في الغزل. وجُلُّ ما قاله في هذا الغرض إنّما هو نسيبٌ قدّم به المديح واغترف معانيَه ولُغتَه من حياض شعراء البادية فذكر العيسَ والمَهَا والظِّباء والطَّلح والبان وتكلَّف اللَّفظ وفخَّمه وأَغْرق في الخيال المجازيّ (راجع في المنتخبات في باب الغزل «خفِّفي وقع السّهام» و«مغامرة غراميّة»)

هـ. الوصْفُ

قد يُوهمك العدد المحدود من المقطوعات الوصفيّة الاثنتي عشرة في الدّيوان أنَّ ابن هانئ مقلٌّ في هذا الغرض. ولكنَّ مديحه تضمّن وصفاً كثيرا جيّدا للطَّبيعة وخاصة للأُسطول. وفي أوصافه تجده مولعاً بالجمال في شتّى مظاهره في النَّاقة والفرس وفي البرق والسّحاب وفي أَشْرِعَةِ السُّفن الحربيّة ونيران المَجَانيق وقذائفها وفي الدّيباج الفاطميّ وتاج المعزّ وسيفه ذي الفقار ومظلّتِهِ المُتَّخذةِ من الدّيباج أو الخزّ المُحلَّى بالذَّهب المرصّع والجوهر. وكان للمظلَّة عند الفواطم مكانةٌ لِعُلُوِّها رأس إمامهم. وكان حاملها من أكبر الأُمراء وهي تقي الإمام من الحرّ والقرّ عندما يظهر لجمهور النّاس ولأَشياعه في المواسم والأَعياد (راجع في المنتخبات «وصف الأُسطول» و«مظلَّة المعزّ» و «روضة تحت المطر» و«كلّ فلكٌ منه طاحون»).

بين ابن هانئ والمتنبي

ابن هاني عند المغاربة كالمتنبي عند المشارقة لِمَا بينهما من أوجه شبه كثيرة. فهما يشتركان في عديد من المعاني والصور الشعريّة وفي طرق تبليغها سواء في المديح أو الوصف كما في قول ابن هاني:

«حتّى إذا ارْتَعَصَ القنا وَتلمَّظت
حَرْبٌ شرُوبٌ لِلنُّفُوسِ أَكُولُ»

فهذا البيت يذكّرنا قول أبي الطيب خاصة في العجز:

«أغرّكم طول الجيوش وعرضها   عليّ شروب للجيوش أكول»

وبين الشّاعِرَيْن أَوْجُهُ قرابةٍ أخرى عديدة مثل التجائهما إلى نفس الأسلوب الملحميّ للتّغنّي بالبطولة الحقّ واغترافهما من مَعين فنّي واحد في فخامة الكلام والمحسّنات البديعيّة والحِكَم. ومتى أضفت إلى تلك الصفات المتقاربة بينهما اتّفاقهما في معالجة موضوع واحد في نفس الوقت تقريبا وهو تصويرُ ابن هاني ملحمة المعزّ لدين الله الفاطميّ ضد الرّوم في الغرب الإسلاميّ وبالخصوص في صقليّة ومضيق مِسّيني وتصوير المتنبّي بطولةَ سيف الدّولة الحمدانيّ ضد الرّوم أيضا في المشرق العربيّ على التّخوم بين الشّام وبيزنطة أَدْرَكْتَ سِرّ إقامةِ النّقّاد ومؤرّخي الأدب موازنات بين ابن هاني الذي سمّوه «متنبّي الغرب» وأبي الطيّب «متنبّي الشّرق».

وفي ديوان الشّاعر المغربيّ مقطوعة جمعت بين غرَضيْن هما فخرٌ بنفسه وهِجاءُ شخصٍ مجهول أعَارَ ابن هاني نسخة مشروحة من ديوان المتنبّي ثمّ ألْحَفَ في استرجاعها وتدلّ

المقطوعة على سَيْرُورة شعر أبي الطيّب في أواسط القرن الرّابع الهجري بإفريقيّة وعلى مكانته عند أدباء ذلك القطر فلا غرو أن يحتاج ابن هانيء إلى دراسة شعر زميله رغم أنّه لم يكن يشاطر معاصريه المغاربة إعجابهم به. ولذا حاول استنقاصه في هذين البيتين :

مَهْلاً فلا المُتنبّي بالنّبِـــــــــيّ وَلَا
أَعُدُّ أَمْثالَهُ فِي شِعْرِهِ السُّـــــوَرَا»

«كانتْ مَعَانِيهِ ليْلاً فامْتَعَضْتُ لَـــــهُ
حتى رَدَدتُ إليه السَّمعَ والبصـــــرا»

وَمَهْمَا تشابَهَ الشَّاعِرَانِ فالقرابةُ بينهُمَا لا بُدَّ أنْ تقف عِنْدَ حدٍّ اخْتِلافِهِمَا الجوهريّ في مخاطبَةِ الممدوح. فابن هانيء شاعرٌ سِيَاسِيٌّ يُخْلِصُ لِعَقِيدَتِهِ الإِسمَاعِيليّة عندما يمْدَح المعزّ وَقُوّادَهُ وَوُلاته في حين يَظلُّ المُتنبّي - رَغْمَ أنّهُ مُعْجبٌ بِسيفِ الدّوْلة صادقٌ في تَمْجِيدِهِ - شاعِرَ بَلاطٍ فَحَسب يُقبِّلُ الأَعْطافَ وَيَتَمَسَّحُ عَلَى الأَعْتابِ ويَحْلُم بالجَاهِ والمَالِ ويجري وراءهما ولا يبلغ ما أَمَّلَتْ نفْسُهُ الطَّموحة في مَسِيرتهِ الطَّويلة عَبْرَ البَلاطات في الشَّام ومصر والعراق وبلاد فارس ويُسْمِعُك استجداءَه السَّافرَ في مثل هذا البيت المُوَجَّه إلى سيف الدّولة :

«وإذا سَأَل الإِنْسَانُ أيَّامَهُ الغِنَـــى وَكُنْتَ عَلى بُعْدٍ جَعَلْنَك مَوْعِدَا»

وتقرأُ لهُ هذا الصَّغارَ في بَيْتٍ آخر مُوَجَّهٍ إلى كافور الإِخشيدي صاحِبِ مصر :

«أَبَا المِسْكِ هَلْ في الكأسِ فضْلٌ أنالُـــهُ
فــإنّي أغنّـــي مُنْــذُ حِينٍ وَتَشْـــرَبُ»

أمّا مَا يُقالُ عَنْ تشيُّع المُتنبّي لآل البيتِ فإنّما هو أثرٌ مُحْتشِمٌ مِنْ مُخلَّفاتِ صِبَاهُ عندما كان يُخالِطُ في الكُتّاب بالكوفة صِغارَ العَلويِّين ومن رَوَاسِبِ المَذْهَبِ الإسماعيليّ الذي انتشر في العالم الإسلاميّ طوَال القرن الرّابع جَهْرًا وَخفاءً حَسَبَ البيئات والظروف فلوَّن الحياةَ الفكريّة والسّياسيّة زمَنئِذٍ. وَلا عَجَبَ أنْ نجدَ منْهُ لمَسَاتٍ في شعر المتنبّي كالقول بالعصمةِ وعلم الغيب. وهما صِفتان أطلقهما أبو الطيّب على ممدوحه سيف الدّولة في هذين البيتين :

« وَقفْتَ وَمَا في المَوْتِ شكٌّ لِوَاقِفٍ
كأنّكَ فِي جَفْنِ الرّدَى وَهْوَ نائِمُ »
« تجَاوَزْت مِقْدارَ الشَّجَاعَةِ والنُّهَى
إلى قولِ قومٍ أنت بالغيب عالِمُ »

وَدُونك ـ بعْدَ ثبْتِ المَرَاجع ـ مُنْتخبَات من ديوان ابن هانئ وخُصوصاً من المُعزّيات الّتي قامت عليها شُهْرَتُهُ لتَتِمَّ مَعْرِفتُك بِشخْصِيّتِه وَمَذْهَبِهِ وبيئَتِهِ وشاعِرِيّتِهِ.

المراجع

* آنخل جنثالث بالنثيا ((Palencia)) . «تاريخ الفكر الأندلسي» ترجمة حسين مؤنس . ط . القاهرة 1355 .

* ابن الأثير . «الكامل في التاريخ» (7 ـ 8)، نسخة منقوله عن النسخة الاوروبيّة بتحقيق تورنبرج . ط . دار صادر ، بيروت 1956 .

* ابن تغري بردي . «النجوم الزاهرة» . ط . القاهرة . ج 4

* ابن خلّكان . «وفيّات الأعيان». تحقيق الشيخ محمد محيي الدّين عبد الحميد . ط . القاهرة 1948 .

* ابن خلدون . «العبر وديوان المبتدإ والخبر» (الأجزاء 3 ـ 4 ـ 6) . ط . بولاق 1284 هـ .

* ابن رشيق . «العمدة» . ط . القاهرة 1955 .

* ابن هاني «الديوان» نشر كرم البستاني . ط . بيروت 1952 .

* ابن هاني . «الديوان» بعنوان «تبيين المعاني في شرح ديوان ابن هاني». تحقيق وشرح وتقديم الدكتور زاهد علي . ط . القاهرة 1933 .

* أبو بكر المالكي «رياض النُّفوس» (الجزء الأوّل)، تحقيق حسين مؤنس . ط . القاهرة 1951 .

* أبو القاسم محمّد كرّو . «ابن هاني المغربي» ط . دار المغرب العربي تونس 1957 .

* أبو يعقوب السجستاني . (الدّاعي) . «كتاب الينابيع» تقديم وتحقيق مصطفى غالب . ط . بيروت 1965 .

* أحمد أمين « المهدي والمهدوية » ط . القاهرة 1951 .
* أحمد بن علي المقريزي ، (تقيّ الدِّين) . « اتِّعاظ الحنفا بأخبار الخلفا» . نشر الدكتور جمال الدِّين الشَّيَّال . ط . القاهره .1948 .
* أحمد بن علي المقريزي . (تقي الدِّين) « المواعظ والإعتبار في ذكر الخطط والآثار » جزءان . ط . بولاق 1370 هـ .
* أسد رستم (الدُّكتور) « الرّوم في سياستهم وحضارتهم وثقـافتهم وصلاتهم بالعرب » . ط . بيروت 1956 جزءان .
* ألبير نصري نادر (الدكتور) «من رسائل إخوان الصّفاء وخـلاّن الوفـاء» . ط . بيروت . 1964 .
* تميم بن المعز لدين الله الفاطمي «الدِّيوان» ط . القاهره1957 .
* ثقـة الإمام (الدعي) المجالس المستنصرية . تحقيق محمد كامل حسين . ط . القاهرة 1947 .
* جبّور عبد النُّور . (الدُّكتور) « إخوان الصّفاء » بيروت 1958 .
* حسن ابراهيم حسن . (الدكتو) . « تاريخ الاسلام السّياسي والدِّيني والثَّقافي والإجتماعي » ط . القاهرة 1960 .
* حسن إبراهيم ودكتور طه أحمد شرف . « المعزّ لدين الله » ط . القـاهرة 1964 .
* حسن حسني عبد الوهاب «ورقات عن الحضارة العربيّة بإفريقيـة التُّونسيّة » ج 1 ط . مكتبة المنار – تونس 1965
* عارف ثامر . « ابن هاني الأندلسي متنبّي الغرب » ط . بيروت 1961 .
* عثمان الكعّاك «مسلك القاهرة» مطبعة دار الكتب بالقاهرة1971 .
* علي ابراهيم حسن (دكتور) « تاريخ جوهر الصقلّي » . ط . القاهـرة 1963 .

* دكتور علي حسني الخربوطلي «العزيز بالله الفاطمي» ط. القاهـــرة 1968.

* القلقشندي «صبح الأعشى في صناعة الإنشا» ج 5 نسخة مصــوّرة على الطّبعة الأميرية. مصر سنة ؟.

* دكتور محمد جمال الدّين سرور «النّفوذ الفاطميّ في بلاد الشّام والعراق». ط. مصر 1959.

* دكتور محمد عبد العزيز مرزوق. «الفنون الزخرفيّة الإسلامية في المغرب والأندلس» ط. دار الثقافة بيروت.

* محمد كامل حسين «طائفة الإسماعيلية» ط. القاهرة 1959.

* دكتور محمّد كامل حسين «تاريخ الدّولة الفاطميّة» ط. القــاهرة 1958.

* المعرّي «رسالة الغفران» تحقيق عائشة بنت الشّاطىء ط. القاهرة 1963.

* دكتور منير ناجي «ابن هاني الأندلسي – «درس ونقد» ط. دار النّشــر للجامعيين 1962

* القاضي النعمــان «رسالة افتتاح الدّعوة» تحقيق وداد القاضي ط. دار الثقافة – بيــروت 1970

* القاضــي النعمان «المجالس والمسايرات» ثلاثة أجزاء مخطــوطة بالقــاهرة.

* القاضي النّعمان «كتاب الهمّة في آداب اتّباع الأئمّة» ط. دار الفكر العربي، مصــر.

* دكتور منير ناجي «ابن هاني الأندلسي – «درس ونقد» ط. دار النّشر للجامعيّين 1962.

— Régis Blachère «Un Poète arabe du IVe s. de l'H. (= Xe s. de J.C.): Al-Motanabbi» Ed. Paris, 1935.

— Henry Corbin «Histoire de la philosophie islamique des origines jusqu'à la mort d'Averroës (1198)». T. 1. Ed. Gallimard, 1964.

— Encyclopédie de l'Islam (nouvelle édition)

1) article «Ibn Hânî» par Farhat Dachraoui

2) article «Ismâiliyya» par W. Madelung.

— Vladimir Ivanov «A guide to Ismaili Literature». Teheran, 1963.

— «Vie de l'ustadh Jaudhar» écrite par Mansur le Secrétair, traduite de l'arabe sur l'édition de M. Kâmil Husain et M. Abd Al Hâdî chaira par Marius Canard. Alger, 1958.

— Mohamed Yalaoui «Un Poète Chiîte d'occident: Ibn Hânî al-Andalusi», Thèse de doctorat d'Etat dactilographiée à la Bibliothèque de la Faculté des Lettres de Tunis.

— Lévi-Provençal «Histoire de l'Espagne Musulmane» Ed. Maisonneuve, Paris 1950. 3 vol.

القسم الثاني

منتخبات شعرية

المديح ومنه المعزّيات

مشوا على قطع النفوس (من الكامل)

جعفر بن علي هو الوالي على بلاد الزّاب في عاصمتها المسيلة وأخو المعزّ لدين الله من الرّضاعة. وهو أول من اتّصل بهم ابن هاني بعد خروجه من الأندلس فمدحه بخمس عشرة قصيدة ومقطوعتين منها قوله في التّغنّي به وبقومه بني حَمدون :

فُتِقتْ لكُمْ رِيْحُ الجِلادِ بِعَنْبَـــــــرِ
وأمَدَّكُمْ فلَقُ الصبَاحِ المُسْفِـــــرِ(1)

وَجَنَيْتُمُ ثمَرَ الوَقائِعِ يَانِعـــــــاً
بالنَّصْرِ مِنْ ورَقِ الحَدِيدِ الأَخْضـــرِ(2)

وَضرَبْتُمُ هامَ الكُمَاةِ وَرُعْتُـــــــمُ
بِيضَ الخُدُورِ بِكُلِّ ليْثٍ مُخْـــدِرِ(3)

أَبنِي العَوَالِي السَّمْهَرِيَّةِ والسُّيـــــو
فِ المَشْرِفيَّةِ والعَديدِ الأَكْثـــــرِ

منْ مِنْكُمُ المَلِكُ المُطاعُ كأنَّـــــهُ
تحْتَ السَّوَابِغِ تُبَّعٌ في حِمْيَـــرِ(4)

---

1) فُتقَ المسْكُ: استُخرجت رائحته – الرِّيحُ : الرائحة – الجلادُ : الحَرْبُ
2) ورقُ الحديد : السيُوفُ.
3) الكُماةُ: مفرده الكميُّ وهو لابس السّلاح لأنه يكمي نفسه أي يسترها بالدرع والبيضة. والكميُّ أيضاً هو الشّجاع – رُعتُم: خوّفتُم – بيض الخدور وواحدتها بيضاءُ الخدر: كناية عن الحسناء المحجوبة – المُخْدرُ: المُلازم خدره أي أجمته.
4) السّوَابغُ: مفرده السابغة وهي الدرع الواسعة. والسابغ ج سوابغ: ويقصد هنا الرفاهية – تُبّعٌ : من التبابعة وهم ملوك اليمن الأقدمون ذكرهم القرآن.

كُلُّ المُلُوكِ مِنَ السُّرُوجِ سَوَاقِــــــطُ

إلاَّ المُمَلَّكَ فوْقَ ظَهْرِ الأَشْقَــــــرِ

القائِدَ الخيْلَ العِتاقَ شوَازِبــــــــاً

خُزْراً إلى لحْظِ السِّنانِ الأَخْــــــزرِ(1)

تنْبُو سَنابِكُهُنَّ عَنْ عفْرِ الثَّـــــــرَى

فيَطَأن فِي خدِّ العَزِيزِ الأَصْعَــــرِ(2)

جَيْشٌ تقدَّمَهُ الُّليُوثُ وَفوْقهَـــــــا

كالغِيلِ مِنْ قصبِ الوَشِيجِ الأَسْمَــرِ(3)

وَكأنَّمَا سَلبَ القَشاعِمَ رِيشَهَــــــا

مِمَّا يَشُقُّ مِنَ العَجَاجِ الأَكْــــــدَرِ(4)

وَكأنَّمَا اشْتمَلتْ قناهُ بِبَــــــــارِقٍ

مُتألِّقٍ أَوْ عَارِضٍ مُثْعَنْجِـــــــــرِ(5)

تمْتدُّ ألسِنةُ الصَّوَاعِقِ فوْقـــــــــه

عَنْ ظُلَّتيْ مُـزن عَليْهِ كنهْـــــوَرِ(6)

وَيَقُودُهُ اللَّيْثُ الغضنْفَرُ مُعْلَمــــــاً

مِنْ كُلِّ شَثْنِ اللِّبْدَتيْنِ غَضنْفـــرِ(7)

---

1) شوَازب : مفرده شازب وهو المتغيّر اللّون الضّامر اليابس ــ خُزْرٌ: مفرده أخزر وخزراء : النّاظر بمؤخر العين المُضَيِّقُ جفْنَه ليُحدّد النظر.

2) السّنابك : الواحد سنبك وهو طرَف الحافر وجانباه ــ الأصعر : المتكبّر.

3) الغيل : الشجر الكثير الملتفّ. ــ القصب: كل نبات ساقُه أنابيب ــ الوشيج : شجر الرّماح وتستعمل للرّماح كذلك.

4) القشاعم : واحدها القَشعم وهو النّسر يريد أن غبار الحرب ارتفع إلى حيث تطير النسور فمنعها عن الطيران فكأن الجيش قد سلبها ريشها.

5) المُثْعَنجِر: السّائلُ المُنْصَبّ.

6) الظُّلّة : ما أظلّك من سحاب أو شجر أو غيره ــكنَهْوَرٌ: مُتراكم

7) الشّثْنُ : الغليظ ــ اللِّبْدةُ : الشّعَر المجتمع بين كتفي الأسد.

فِي فِتْيَةٍ صدأُ الدُّروعِ عَبِيرُهُــــم
وَخلُوقُهُمْ عَلَقُ النَّجِيعِ الأَحْمَـــــرِ(1)

لا يأكُلُ السِّرْحَانُ شِلْوَ طَعِينِهِـــــم
مِمَّا عليه مِنَ القنا المُتكسِّـــــرِ(2)

أَنِسُوا بِهجْرَانِ الأَنِيسِ كأَنَّهُـــــم
فِي عَبْقَرِيٍّ البِيدِ جِنَّةُ عَبْقَـــــرِ(3)

يَغْشَوْنَ بِالبِيدِ القِفارِ وَإِنَّمَـــــا
تلِدُ السَّبَنْتَى فِي اليَبابِ المُقْفِـــرِ(4)

قَدْ جاوروا أَجَمَ الضَّوَارِي حَولهـــم
فإذا هُمُ زأروا بِها لم تـــــزْأَرِ

وَمَشَوْا على قِطَعَ النُّفوس كأنَّمـــا
تمشي سنابِكُ خيْلِهم في مَرْمَـــرِ

قومٌ يَبِيتُ على الحَشايا غَيرُهُـــم
ومَبِيتُهُمْ فوق الجِيادِ الضُّمَّـــرِ

وَتظَلُّ تسْبَحُ فِي الدِّمَاءِ قِبَابُهُـــم
فكأنَّهُنَّ سَفائِنٌ فِي أَبْحُـــــرِ

فخِيَاضُهُمْ مِنْ كُلِّ مُهْجَةِ خالِـــعٍ
وخيامُهُمْ مِنْ كُلِّ لِبْدَةِ قَسْـــوَرِ(5)

---

1) الصدّأ : وسخ الحديد أو النّحاس – العبير : أخلاط من الطّيب – الخلوق: ضرب من الطّيب من أجزائه الزّعفران – العلَقُ : الدّمُ – النّجيع : الدّم.
2) السّرحان : الذّئب – الشّلْو : الجثّة.
3) عبقر : موضع كانت العرب تزعم انّه كثير الجنّ.
4) يغشون بالبيد القفار : المراد به انّهم يمضون ليلهم في القفار كالوحوش – السّبنتى : النّمر ويكنّى به الجريء المقدم.
5) الخالع : الخارج عن الطاعة – القسْور : الأسد.

إنّا لَتجْمَعُنا وهذا الحَيِّ مِـــــن
بَكْرٍ أَذِمّةُ سَالِفٍ لمْ تُخْفَـــــــرِ(1)

أَحْلافُنا فكأنّنا مِنْ نِسْبَـــــــــة
وَلِدَاتُنا فكأنّنا مِن عُنْصُـــــــــرِ

---

1) الأذمة: الواحد ذمام وهو الحقّ والحرمة – خفرَ يخفرُ وأخفرَ يُخفِرُ: نقضَ.

المعزّيات

نقموا تشيّعي (من الطويل)

يظهر أنّ وَالد ابن هانيٍ كان من الدّعاة المكلّفين بِنشْر الدّعوة الإسماعيليّة في الأندلس مُنذ تأسيس الدّولة الفاطميّة سنة 297 ه. وأنّ ابنه عَرَفَ الباطنيّة وأسرارها وجاهر بتشيّعه زمن إقامته في شبه الجزيرة الايبيريّة فأغضب الأمويّين وعمّالهم فضايقوه حتى خرج إلى عُدْوة المغرب لائِذًا بأرض يُمارس فيها عقيدته جَهْرًا ويطمئنّ على نفْسِهِ. وها هو يُقِرّ في مدحِهِ المعزّ بأنّه كان شيعيًّا قبل خروجه فنقم عليه الأمويّون والأندلسيّون المتعصّبون للسنّة عقيدتَه فهرب إلى الفواطم :

دَعَانِي لكُمْ وُدٌّ فلبَّتْ عَزائِمِي
وعَنْسِي وَليْلِي والنُّجُومُ الشَّوَابِكُ(1)

وَمُسْتَكْبِرٌ لمْ يُشْعِرِ الذُّلَّ نفْسَهُ
أَبِيٌّ بِأبْكارِ المَهَاوِلِ فاتِكُ(2)

وَلوْ عَلِقَتْهُ مِنْ أمَيَّةَ أحْبُلُ
لجُبَّ سَنَامٌ مِنْ بَنِي الشِّعْرِ تامِكُ(3)

وَلمَّا التقَتْ أسْيافُها وَرِمَاحُهَا
شِرَاعاً وقد سُدَّتْ عليَّ المسالِكُ(4)

أجَزْتُ عليها عَابِرًا وَترَكْتُها
كأنَّ المَنايَا تحت جَنْبِي أرَائِكُ

---

1) العنسُ : النّاقة القوية ـ الشّوابك : مفرده الشّابكُ من شبكتِ الأمورُ أي اختلطت وتداخلت والتبست وأشار باشتباك النجوم إلى شدّة ظلمة اللّيل .

2) اشْعرَ فلان فلانا شرًا : غشيه به ـ المهاول : الأهوال ـ أبكارُها : شدادُها .

3) عَلقَ الوحشُ بالحبالة : تَعلّق ـ جُبّ : قطع ـ السنامُ : حَدْبة الجمل ـ التّامك : المرتفع .

4) شرَاعٌ : جَمْعٌ استعمله عوض شارعة وشوارع بمعنى مُسَدَّدة من شَرَعَ يشرَع الرّماحَ أي صوّبها .

وما نقَموا إلاّ قديمَ تشيُّعِـــــــــي

فنجّى هِزبْرًا شدّهُ المُتــــــــداركُ(1)

وَما عَرَفت كرَّ الجِيادِ أميَّـــــــــةٌ

ولا حَمَلتْ بَزَّ القنا وهو شابِـــــكُ(2)

ولا جرّدوا نَصْلاً تُخافُ شَبَاتُــــــهُ

ولكنَّ فُولاذًا غدا وهو آنُــــــكُ(3)

ولمْ تَدْمَ في حَرْبٍ دُروعُ أميَّـــــــة

ولكِنَّهُمْ فيها الإِماءُ العَـــــوَارِكُ(4)

إذا حَضروا المُدَّاحَ أخْجَلَ مَـــادِحٍ

وَأظْلَمَ دَيْجُورٌ مِن الكُفْرِ حَالِــــكُ

سَتُبْدِي لك التّثْرِيب عَنْ آلِ هَاشِــم

ظُبَاةُ سُيُوفٍ حَشْوهُنَّ المهالِـــــكُ(5)

بَنِي هَاشِمٍ قدْ أنْجَز الله وَعْــــدَهُ

وَأطْلعَ فيكُمْ شَمْسَهُ وهيَ دَالِــــكُ(6)

وَنادَتْ بِثَارَاتِ الحُسَيْنِ كتائِــــبٌ

تُمَطِّي شِرَاعاً في قَنَاها المعَــــارِكُ(7)

---

1) الشّدّ : الهجومُ ـــ المتدارك : المتلاحق .
2) البزّ جمع البزوز : السلاح
3) الآنِك : الرّصاص .
4) العوارك مفرده العارك : الجارية الحائض
5) التّثْريبُ كالتّأنيب والتّعيير : الاستقصاء في اللّوم وأصلُه من ثَرّبَهُ ثَرْبا. ـــ ظُبَاة : مفرده ظُبةٌ وهو حدّ السيف أو سِنان .
6) الشّمس الدّالك : التي مالت وزالتْ عن كبد السماء (المقصود : ردّ الله إليكم الخلافة بعد زوالها عنكم .
7) نادت بثارات : طالبتْ بدم. ـــ تُمَطّي : تُمِدُّ وتُطيلُ ـــ شرَاعا : بمعنى مسدّدة وهي تمييز لقوله « تُمَطّي » .

تؤمُّ وَصِيٍّ الأوصيَاء وَدونَـــــــــهُ
صُدُورُ القنا والمُرْهَفاتُ البَوَاتِـــكُ(1)

وَضربٌ مُبِينٌ لِلشُّؤونِ كأنَّمَـــــــا
هَوَتْ بِفرَاشِ الهام عنهُ النَّيـــازِكُ(2)

فدُسْ بِهِمُ تلك الوُكون فإنَّنِــــــي
أَرَى رَخمًا والبَيضُ بَيْضُ ترَائِـــكُ(3)

لَقَدْ آنَ أنْ تُجزَى قُرَيْشٌ بِسَعْيِهَـــا
فإمَّا حَيَاةٌ أَوْ حِمَامٌ مُواشِـــــكُ

---

1) وَصيّ الأوصياء : أراد به المعزّ . والوصيّ في معتقد الشيعة هو الإمام وأول وصيّ عندهم هو عليّ أوصى له النبيّ صلى الله عليه وسلم بالخلافة من بعده في غدير خم وهذا لا يقول به أهلُ السنّة الّذين اعتبروا الخلافة شورى بين المسلمين .

2) الشؤون: منها يجيء الدّمع — فرَاش الهام: عظامٌ رقاق في الرّأس واحدتها فراشة. النّيازك : الواحدة نيزك وهي الرّمح القصيرة .

3) الوُكون : مفرده الوكن وهو عش الطائر — التّرائك مفرده التّريكة وهي البيضة بعدما يخرج الفرخ.

أنتَ وليّ الثأر (من الطويل)

عبثَ الأمويّون بسفينة فاطميّة فبعث المعزّ إلى الحسن بن علي الكلبي عامله على الجزيرة أن يخرج بأسطوله إلى ساحل المريّة لينتقم من بني مروان. ويشير القاضي النّعمان في «افتتاح الدّعوة» إلى تلك الحادثة بقوله: «وغزا المعزّ عليه السّلام بني أميّة بالأندلس فأحرق أساطيلهم ودار صناعة مراكبهم واحتوى على المريّة وما فيها بعدد قليل من مراكب أخرجها لأمرٍ تَعَدَّوْا فيه وجوازٍ جازوا في البحر إلى المشرق من غير أمره».

وفيما يلي عيناتٌ من قصيدة لابن هاني يذكر فيها هجوم الفواطم على شواطئ الأندلس وكان ذلك في سنة 344 هـ. ثمّ استيلاء الرّوم على مدن وحصون في الشّام وكان ذلك بين سنتي 350 و360 هـ. :

لَقيتَ بَني مروان جَانبَ ثَغْرِهِمْ   وَحَظُّهُمُ مِنْ ذَاكَ خُسْرٌ وَتَتْبِيبُ(1)
وعَارٌ بِقَوْمٍ أَنْ أَعَدُّوا سَوَابِحــاً   صُفُوناً بِهَا عَنْ نُصْرةِ الدِينِ تَنْكِيبُ(2)
وَقَدْ عَجَزُوا فِي ثَغْرِهِمْ عَنْ عَدُوِّهِمْ   بِحَيْثُ تَجُولُ المُقْرَبَاتُ اليعابِيبُ(3)

---

1) التّتبيبُ: الإهلاكُ من تبّ ومنه قوله تعالى «تبّت يدا أبي لَهَبٍ».
2) السّوابح مفرده السّابحة وهي صفة للسّفينة وصفة للخيل — الصّوافن والصّافنات جمع صافن وهو من الخيل القائم على ثلاث قوائم وقد أقام الرابعة على طرف الحافر وهذا من صفات الخيل الجياد. — تنكيب (مص) نكّب الشيء بمعنى نحّاه.
3) المُقرّبات مفرده مقربة وهي الفرس التي يقرّب مربطها ومعلفها لكرامتها لئلا يقرعها فحل لئيم — اليعابيب: مفرده اليعبوب وهو الفرس الكثير الجري، استعير من اليعبوب وهو النهر الشديد الجرية.

وَجَيْشُكَ يَعْتَادُ الهِرَقْلَ بِسَيْفِـــــــه
وَمِنْ دُونه اليَمُّ الغُطامطُ واللُّـــوبُ(1)

يُخَضْخِضُ هذا الموْجَ حتّى عُبَابُـــــهُ
إذا التجَّ منْ هام البَطَاريقِ مَخْضُـوبُ(2)

فَمَأثورُ ذكْـرِ المَجْد فيهـا مُفَضَّـضٌ
وَفَوْقَ حَديدِ الهِنْدِ منهنَّ تَذْهيـبُ(3)

وَمِنْ عَجَبٍ أنْ تَشْجُرَ الرّومُ بالقنـــا
فَتُوطأَ أَغْمَارٌ وهَضْبٌ شَناخيـبُ(4)

وَنَـوْمُ بَني العبّـاسِ فَوْقَ جُنُـوبِهِمْ
ولاَ نَصْـرَ إلاَّ قَيْنَـــةٌ وأكاويـبُ

وَأَنْتَ كَلُوءُ الدَّهْرِ لاَ الطَّرْفُ هَاجِـعٌ
ولا العزمُ مَرْدوعٌ ولا الجأْش مَنْخُوبُ(5)

هُمُ أَهْلُ جَرَّاهَا وَأَنْتَ ابنُ حَرْبِهَـــا
ففي القُرْبِ تَبْعيدٌ وفي البُعْد تقريبُ(6)

---

1) اعتاد الشّيء: صيّره عادةً لنفسه. ــ اليمُّ الغُطامط: الكثير الماء العظيم الأمواج. ــ اللّوب: اسم جنس واحده لُوبة وهي الارض ذات الحجارة السّود.

2) حتّى: هنا ابتدائية ما بعدها مرفوع على الابتداء ــ التجّ البحر: اضطرب. البطاريق: الواحد بطريق وهو قائد الرّوم.

3) المأثور: الحديث المنقول من أثرَ أثرًا. ــ المفضّض: المموّه بالفضّة أو المرصّع بها. ــ تذهيب: تمويه بالذّهب.

4) تَشْجُرَ: مفعوله محذوف أي أن تشْجُرَ الرّومُ المسلمين من شجر فلانا بالرّمح شُجُورًا أي طَعنهُ به ــ الأغمار مفرده الغَمر وهو الماء الكثير ــ الهضْبُ: المُرتفع من الأرض ــ الشّناخيب: مفرده الشنخاب والشُنْخُوبُ وهو رأس الجبل.

5) الكَلُوءُ: الحافظ من كلأه اللهُ إذا حفظه وحرسه ــ مردوع: اسم المفعول من ردع بمعنى ردَّ بشدّة ــ الجأش: نفس الإنسان ــ منخوب: بمعنى منزوع وتطلق على الجبان لأنه يكون منتزع الفؤاد من الخوف.

6) «هم أهل جرّاها وأنت ابن حربها» أي هم الجُناة أهل الجرائر على دار الإسلام (من الجريرة وهوما يجرّه الجاني على قومه) وأنت ابن حربها تقوم محامياً للدّولة والملّة.

وَلاَ عَجَبٌ والثَّغْرُ ثَغْرُكَ كُلُّــــــــهُ
وأَنْتَ وليُّ الثَّأرِ والثَّأرُ مَطْلُــــوبُ

وَأَنْتَ نظَامُ الدِّين وابنُ نَبِيِّــــــه
وَذُو الأَمْرِ مَدْعُوٌّ إليه فَمَنْــــدُوبُ(1)

سَيَجْلُو دُجى الدِّين الحَنِيف سُــرَادِقٌ
منَ الشَّمس فوق البرِّ والبحر مضروب(2)

وَعَزْمٌ يُظِلُّ الخَافِقَيْن كَأَنَّــــــهُ
عَلَى أُفُقِ الدُّنيا بِنَاءٌ وتَطْنِيـــبُ(3)

وَيُسْلِمُ أَرْمِينِيَّةً وذَواتِهـــــــا
صَلِيبٌ لِنُصْحِ الأَرْمَنِيِّين مَنْصـوبُ(4)

وَحَسْبِيَ مِمَّا كَانَ أَوْ هُوَ كَائِــــنٌ
دَليلان عِلْمٌ بِالإِلَه وتَجْرِيــــــبُ

وَلَمْ تَخْتَرِقْ سِجْفَ الغُيوب هواجِسي
ولكنَّه مَنْ حَارَبَ الله مَحْـــروبُ

وأَعْلَمُ أَنَّ الله مُنْجِزُ وَعْــــــده
فلاَ القَولُ مَأْفُوكٌ ولا الوَعْدُ مَكْـذُوبُ(5)

وَأَنْتَ مَعَدٌّ وَارِثُ الأَرْضِ كُلِّهــــا
فَقَدْ حُمَّ مَقْدورٌ وقَدْ خُطَّ مَكْتـــوبُ

---

1) منْدوب : اسم المفعول من ندبه للأمر نَدْباً أي دعاه ورشّحه للقيام به .
2) السُّرادق : الفسطاط ، الخيمة الكبيرة ويطلق على كلّ ما أحاط بشيء .
3) الخافقان : المشرق والمغرب لأن اللّيل والنّهار يخفقان فيهما . — التّطنيب: من طنب البيت بمعنى شدّه بالأطناب أي الحبال .
4) أسلَمَ العَدو: خذله. في هذا البيت يشير ابن هاني إلى فتح أرمنيّة من البلاد (الشّام)
5) مأفوك : مكذوب .

وللّهِ علْمٌ لَيْسَ يُحْجَبُ دُونَكُـــــمْ
ولكنّهُ عَنْ سَائرِ النّاس محجـــوبُ(1)

أفي كُلِّ عَصْرٍ قُلْتُ فيه قَصيـــدَةً
عَلَيٍّ لأَهْلِ الجَهْلِ لَوْمٌ وَتَثْرِيـــبُ

ومَا غَاظَ حُسَّادِي سوى الصِّدقِ وحـده
وما منْ سَجَايا مثْلِيَ الإفْكُ والحُـوبُ(2)

وما قَصْدُ مثلي في القصيد ضَرَاعَـــةٌ
ولا منْ خلالي فيه حرْصٌ وترغيـبٌ

فَمَدْحُكَ مَفرُوضٌ وحُكْمُك مُرْتَضَـــى
وَهَدْيُكَ مَرْغُوبٌ وسُخْطُك مَرْهُـــوبٌ

وذِكْرُكَ تَقْديسٌ وأَنْتَ دَلاَلَـــــــةٌ
وحُبُّكَ تَصديقٌ وبُغْضُك تَكْذيـــبٌ

ألاَ إنّما الدُّنيا رِضَاكَ لعَاقِــــــلٍ
وإلاَّ فإنَّ العَيْشَ هَمٌّ وتعذيـــــــبٌ

---

1) يشير هنا إلى علم الباطن الذى يعلمه الإمام ويبلّغه إلى أشياعه في اعتقاد الإسماعيليّة.
2) الإفكُ : الكلام الباطل ــ الحَوبُ : الإثمُ.

هَديةُ مَنْ أعطى النصيحةَ حقّها (من الطويل)

في سنة 346 هـ ولي مدينة سَبتة والٍ من قبل عبد الرّحمَان النّاصر الخليفة الأُموي فحَصَّنها وبنى سورها. ونقض أهلُ المغرب الأقصى طاعةَ الشّيعة، وحَالَفَ صاحبُ تَاهَرْت يَعلى بن محمّد اليفرني بني مَروان أعداءَ الفواطم سنة 347 هـ، فجهّز المعزُّ في تلك السّنة قائدَه جوهراً بعسكر كثيف لقمع المُتَمرّدين واسترجاع المدن والقلاع المُستعصيّة عليه، فسارَ إليها وأَسَرَ أكابرَ المغاربة، وتقبّض عَلى يَعلَى بن محمّد اليفرني بتاهَرت وافتكّها منه وضمّها إلى زيري بن مَناد وخَرَّبَ إيفكان. ثمّ سار إلى فاس فاستعصت عليه، فرحل عنها إلى سجلماسة واحتلّها وأسر صاحبها محمّد بن الفتح. ثم عاد إلى فاس وألحّ عليها بالحصار حتّى سقطت وأسر صاحبها أحمد بن بكر سنة 348 هـ. وطرد جُلَّ عمّال بني أميّة من سائر المغرب، ولكنّه لم يقدر على سَبْتَةَ لقربها من الأندلس. وأتى جوهرُ البحرَ المحيط فأمر باصطياد سمكه. وجَعَلَهُ في قلال الماء وأرْسَلَه إلى المعزّ ليشير بذلك إلى أنّه ملك ما مَرَّ به من المدائن والأُمم حتّى بلغ المحيط. ثمّ رجع جوهر إلى المعزّ غانما مظفّرا ومعه أميـرا سجلماسة وفاس في قفصي حديد. ودخل بهما الى المنصوريّة في يوم مشهود خلّده ابن هاني بهذا القريض:

ألاَ هَكَـذا فَلْيُهْـدِ مَنْ قَادَ عَسْكَـرَا
وَأَوْرَدَ عَنْ رَأْيِ الإمَـامِ وأَصْـدَرَا(1)

---

1) إيرادُ الأمر: ابتداؤه — إصدارُه: إتمامُه.

هَدِيَّةَ مَنْ أَعْطَى النَّصِيحَةَ حَقَّهَــــا
وكانَ بِما لم يُبْصِرِ النَّاسُ أَبْصَرا

أَلاَ هَكَذَا فَلْتُجْلَب العيسُ بُدَّنــاً
أَلاَ هكذا فَلْتُجْنَبِ الخَيْلُ ضُمَّرَا(1)

مُرَفَّلَةً يَسْحَبْنَ أَذْيَالَ يُمْنَــــة
وَيَرْكُضْنَ دِيْبَاجاً وَوَشْياً مُحَبَّـــرا(2)

فَلاَ يَسْتُرَنَّ الوَشْيُ حُسْنَ شِياتهـــا
فَيَسْتُرَ أَحْلَى منه في العين مَنْظَــرا(3)

ومَا خِلْتُ أَنَّ الرَّوْضَ يَخْتالُ مَاشِيــاً
ولا أَنْ أرَى في أَظْهُرِ الخَيْلِ عَبْقَـرَا(4)

أَرَى صُوَراً يَسْتَعْبِدُ النَّفْسَ مِثْلُهـــا
إذا وَجَدَتْهُ أَوْ رَأَتْهُ مُصَــــوَّرَا

أُفَكِّهُ مِنْهَا الطَّرْفَ في كُلِّ شَاهِـــد
بِأَنَّ دَليلَ اللهِ فِي كُلِّ ما بَــــرا(5)

أَلاَ إِنَّما تُهْدى إلى خَيْرِ هَاشِـــم
وأَفْضَلِ مَنْ يَعلو جوادًا ومِنْبَــرَا

---

1) العيس مفرده عيساء: الإبل البيض يخالط بياضها سواد خفيف – البُدَّن جمع بادن للمذكر والمؤنث وقد يقال في المؤنث بادنة من بَدُن: عظم بدنُه بكثرة اللحم – ضُمَّر مفرده ضامر وضامرة: ضدّ بادن.

2) اليُمنة بضم الياء: بُرد يمنيٌّ. واليمن مشهورة بجودة طرازها – الوشْيُ: الثوب المنقوش المنمنم – المحبر: المُحسّن والمزيّن.

3) شياتها: الواحدة شيَةٌ ووشي: كلّ لون يخالف معظم لون الفرس، وقيل هي في ألوان البهائم بياض في سواد أو سواد في بياض.

4) العبقريّ: ضرب من البسط فاخر فيه أصباغ ونقوش. وعبقرُ: موضع تزعم العرب أنه كثير الجنّ ثمّ نسبوا إليه كلّ شيء تعجّبوا من حذقه أوجودة صناعته.

5) أفَكّهُ مضارع فكّه فلانٌ أحبابه بمُلح الكلام: أطرَفهم بها.

مَنِ اسْتَنَّ تَفْضيلَ الجِياد لأَهْلِهـــا
فَأَوْطَأَها هَامَ العِدى والسَّنَـــوَّرا(1)

وَجَلَّاها أَسْلاَبَ كُلِّ مُنافـــقٍ
وَكُلِّ عَنيدٍ قد طغَى وتَجَبَّـــرا(2)

وَقَلَّدَهَا الياقوتَ كالجَمرِ أحْمـــرا
يُضيءُ سَناهُ والزُّمرُّدَ أخْضَـــرا

وَقَرَّطَها الدُّرَّ الذي خُلِقَتْ لَـــهُ
وفاقاً وكانتْ منهُ أسْنَى وأخْطَـــرا(3)

فكَمْ نَظْمِ قُرْطٍ كالثُّرَيَّا مُعَلَّـــقٍ
يَزيدُ بِها حُسْناً إذا مَا تَمَرْمَـــرَا(4)

وكَمْ أُذُنٍ منْ سابِحٍ قد غَدَتْ بِـــهِ
يُنَاطُ عَلَيْها مُلْكُ كِسْرى وقَيْصَـــرا(5)

وَأهْلٌ بأنْ تُهْدَى إليه فإنَّـــهُ
كَنَاهَا وسمَّاها وحَلَّى وسَـــوَّرا(6)

وأسْكَنَها أعْلَى القِبابِ مَقَاصِـــراً
وأَحسنَها عَاجاً وسَاجاً ومَرْمَـــرَا

وبَوَّأَها منْ أطيبِ الأَرْضِ جَنَّـــةً
وأَجْرَى لها منْ أَعْذَبِ الماءِ كَوْثَرا

---

1) استَنَّ الأمر : جعله سُنَّةً يُسَارُ عليها — السَّنَوَّرُ: جملة السلاح وخصّ بعضُهم به الدّرع .
2) أسلاب مفرده سَلَبٌ : ما يُسْلَبُ .
3) وفاقا : مصدر وافق أي أنّ الدّرّجانس الخيل لحسنها فهي أهلٌ لَهُ .
4) تَمَرْمَرَ : اهتزّ وترجرج .
5) السّابِح صفة للفرس السّريع .
6) سوّرَ المرأة: ألبسها السّوار وهو حلية كالطّوق تضعها المرأة في زندها والجمع أساور وأسْورة .

يُجدُّ لهَا في كُلِّ عام سُرادِقــــــــاً
ويَبْني لها في كُلِّ عَلْياءَ مَظْهَــــرا(1)

ألاَ إنَّما كانتْ طَلائعُ جوْهــــــرٍ
بِبَعض الهدايا كالعُجالة للقــــــرى(2)

ولَوْ لمْ يُعَجِّلْ بعضَها دون بعضهـــــا
لَضاقَ الثَّرى والماءُ طُرْقاً ومَعبَــرا

أقولُ لصَحْبي إذْ تَلَقَّيتُ رُسْلَــــهُ
وقَدْ غَصَّت البيداءُ خُفًّا ومَنْســرا(3)

لَعَمْرِي لَئنْ زَانَ الخلاَفةَ نَاطقــــاً
لقد زانَ أيّام الحُروبِ مُدَبِّـــرا

تَضِجُّ القَنَا منْهُ لمَا جَشَّمَ القَنــــا
وتَضْرَعُ منه الخَيْلُ واللَّيْلُ والسُّــرَى

هُوَ الرُّمْحُ فَاطْعَنْ كيفَ شئْتَ بِصَـدْرِه
فَلَنْ يَسْأمَ الهَيْجَا وَلَنْ يتَكَسَّـرا

وَقَدْ كَانَت القُوّاد منْ قَبْلِ جوْهَــرٍ
لَتَصْلُحُ أنْ تَسعى لتَخْدِمَ جَوْهَــرا

عَلَى أنَّهُمْ كانوا كواكبَ عَصْرِهِــمْ
ولكنْ رَأيْنا الشَّمس أبْهى وأنْــوَرا

فَلا يُعْدِمَنَّ اللهُ عَبْدَكَ نَصْــــرَهُ
فَمَا زَالَ مَنْصورَ اليَدَيْن مُظَفَّــرا

---

1) يُجدُّ بمعني يجدّد ـ السّرادق ج سُرادقات : الخيمة الكبيرة .

2) العُجالةُ للقِرى: ما يعجّلُ من طعام للضّيف.

3) الخُفُّ : ما يُلبس بالرِّجل والخُفُّ للبعير ـ المَنْسرُ: قطعة من الجيش تمرّ أمام الجيش الكثيف يعني طلائع الجيش الكثيف الذي كان يقوده جوهر .

إذا حَارَبَتْ عَنْه الملائكةُ العِـــــدى
مَلأنَ سماءَ الله بِاسْمك مُشْعَـــرا (1)

ومَا اخْتَرتَهُ حتّى صَفَا ونَفَى القَــــذَى
بَل اللهُ في أمِّ الكتَابِ تَخَيَّـــــرَا

وَوَكَّلْتَهُ بالجيشِ والأَمْرِ كُلِّــــــــه
فَوَكَّلْتَ بالغِيلِ الهِزْبَرَ الغَضَنْفَـــرا

بَلَغْتُ بِكَ العَلْيا فلَمْ أَدْنُ مادحـــــاً
لِأَسْأَلَ لكنّي دَنَوْتُ لِأَشْكُـــــرَا

وَصَدَّقَ فيك الله ما أنا قائـــــــلٌ
فَلَسْتُ أبَالِي مَنْ أَقَلَّ وأَكْثَـــــرا

1) مُشْعَرًا: على بناء المفعول حال من قوله «اسمك» والمشعر: مالَهُ شعار وهو نداء مخصوص يتعرف القومُ به بعضهم بعضا أو للغزو ويسمى اليوم في لغة الجنديّة سر اللّيل أو كلمة الليل (mot de passe)

يَومٌ عَرِيضٌ فِي الفَخَار (من الكامل)

لَمَّا وَلِيَ المُعِزّ الخلافة أَمَرَ نَائِبَه على صقليَّة أحمد بن الحسن الكلبي بِفَتْح مَا تَبَقَّى من قِلاَع الرّوم في تلك الجزيرة فَغَزاها وفَتَحَ طَبَرْمِين وغيرَها سنة 351 هـ. إلاَّ أنَّ مدينة رَمْطة Rametto استعصت عليه فحاصرها وألحّ عليها بالقتال، فاستَنْجَدَ أَهْلُهَا بالإمبراطور البيزنطي «نقفور فوكاس» (352 ـ 359 هـ ـ 963 ـ 969 م) فَأنجدهم بأسطول ضخم وأربعين ألف مقاتل قادهم «مَنْويل». وجاء المَدَدُ من القسطنطينيّة ونزل الرّوم بمرسى مسِّيني (Messine) وزحفوا على رمطة التي كان يحاصرها الحسن بن عمّار ابن عمّ أحمد بن الحسن الكلبي، وأحاطوا بالفواطم من خلفهم. وخرج إليهم سكّان رمطة وعظم الأمرُ على المسلمين. ومَا تبيّنوا خلاصا إلاّ في الاستماتة فحملوا على الروّم وعقروا فرس «منويل» وقتلوا ذلك القائد وجماعةً من البطارقة. ودارت الدّائرة على الرّوم فولّوا الأَدبار وتشتَّتَ شملهم. وتتبّعهم المسلمون بالقتل وسقطت رمطة وركب الرّوم من صقليّة ناجين بأنفسهم فلاحقهم الأَمير أحمدُ وأصحابهُ وقتلوا منهم كثيرا وأحرقوا وأغرقوا عديدا من سفنهم.

وتُعْرَفُ هذه الوقعة الخطيرة بوقعه المجاز (أي مجاز مَسِّينَى) وقد حدثت سنة 354 هـ. وأسِر فيها ألفٌ من عظماء الرّوم ومائة بطريق: وحصلت للمعزّ فيها غنائم كثيرة. وعلى إثرها جاء

«نيقولا» سَفير بيزنطا إلى إفريقيّة يحمل الجزية ويعرض الصلح على المعزّ. وبمناسبة واقعة المجاز قال ابن هاني:

يَوْمٌ عَرِيضٌ فِي الفَخَارِ طَوِيلُ
مَا تَنْقَضِي غُرَرٌ لَهُ وحُجُولُ(1)

يَنْجَابُ منْهُ الأُفْقُ وَهْوَ دُجُنَّةٌ
وَيَصِحُّ منه الدَّهْرُ وَهْوَ عَلِيلُ(2)

مَسَحَتْ ثُغُورُ الشَّامِ أَدْمُعَهَا بِهِ
وَلَقَدْ تَبُلُّ التُّرْبَ وَهْيَ هُمُولُ(3)

وَجَلاَ ظَلاَمَ الدِّينِ والدُّنيا بِهِ
مَلِكٌ لِمَا قَالَ الكِرامُ فَعُولُ

فَلَوْ أَنَّ سُفْناً لَمْ تُحَمَّلْ جَيْشَهُ
حَمَلَتْ عَزَائِمَهُ صَباً وَقَبُولُ(4)

وَلَوْ أَنَّ سَيْفاً لَيْسَ يَبْتِكُ حَدُّهُ
جَذَّ الرِّقَابَ بِكَفِّهِ التَّنْزِيلُ(5)

مَلِكٌ تَلَقَّى عَنْ أَقَاصِي ثَغْرِهِ
أَنْبَاءَ ذِي دُوَلٍ إليه تَدُولُ(6)

بُشْرَى تَحَمَّلُهَا اللَّيالِي شُرَّداً
خَيْرُ المَسَاعِي الشَّارِدُ المحمولُ(7)

---

1) يَوْمٌ: أراد به الوقعة — أغرّ مُحَجَّلٌ: مجاز بمعنى مضيء مشرق بالسّرور.
2) انجابت السّحابة: انكشفت وانقطعت.
3) هَمَلَت عينُه هملا وهمولاً: فاضت.
4) الصَّبَا والقَبول: مترادفان ريحٌ مهبُّها من الشرق تقابل الدَّبور.
5) جَذّ الشّيء الصّلب: كسره أو قطعه مستأصلا.
6) ذو دُوَل: صاحب دول وهنا ملك الروم — تدول: تتحوّل وتأتي مسرعة.
7) المساعي: المكارم.

تَأتي الوُفُودُ بها فلا تَكْرارها
نَصَبٌ ولاَ مقرونُها مملولُ(1)

قُلْ لِلدُّ مُسْتَقِ مُورِدِ الجَمْعِ الذي
مَا أَصْدَرَتْهُ لَهُ قَناً ونُصُولُ(2)

سَلْ رَهْطَ مَنْوِيلِ وَأَنْتَ غَرَرْتَهُ
في أيِّ مَعْرَكَة ثَوى مَنْويلُ

مَنَعَ الجُنودَ منَ القُفول رَوَاجِعاً
تَبًّا لَهُ بالمُنْديات قُفُولُ(3)

قَدْ فَالَ رَأيُكَ في الجِلاَدِ ولمْ تَزَلْ
آراءُ أَغْمَارِ الرِّجَالِ تَفيلُ(4)

وَبَعَثْتَ بِالأَسْطولِ يَحْملُ عُدَّةً
فَأَثَابَنا بِالعُدَّةِ الأُسطولُ

وَرَمَيْتَ فِي لَهَوَاتِ أُسْدِ الغَابِ مَا
قَدْ بَاتَ وَهْيَ فَرِيسَةٌ مَأكُولُ

أَدّى إِلَيْنَا مَا جَمَعْتَ مُوَفَّراً
ثُمَّ انْثَنَى فِي اليَمِّ وَهْوَ جَفُولُ(5)

وَمَضَى يَخِفُّ عَلَى الجَنَائِبِ حَمْلُهُ
وَلَقَدْ يُرَى بِالجَيْشِ وَهْوَ ثَقِيلُ(6)

---

1) النَّصَب : التَّعب.
2) أصدرته : أرجعته سالما.
3) المنديات : المخزيات.
4) فَالَ رأيهُ فَيالةً وفُيُولَةً : أخطأ وضعف ــ الأغمار : مفرده الغُمر وهو الجاهل الذي لم يجرّب الأمور.
5) جفولُ : مُسْرِعٌ كثيرا من جَفَل يجفُل.
6) الجنائب مفرده جنيب وجنيبة : الفرس قُدته إلى جنبه أي إلى ناحيته.

نَفَّلْتَهُ مِنْ بَعْدِ مَا وَفَّــرْتَــــــهُ
مَــنٌّ لَعَمْرُكَ مَا أَتَيْتَ جَـزِيــــلُ(1)

إِيهًــــا كَذَاكَ فَإِنَّــهُ مَــا كَانَ مِــنْ
بِــرٍّ الكِــرَامِ فَإِنَّــهُ مَقْبُـــــولُ(2)

مَاذَا يُــؤَمِّلُ جَحْدَرٌ فِي بَــاعِـــــهِ
قِصَــرٌ وَفِــي بَاعِ الخِلَافَــةِ طُولُ(3)

ذَمَّ الجَزِيرَةَ وَهْيَ خِدْرُ ضَــرَاغِـــمٍ
سَــامَتْــهُ فِيهَا الخَسْفَ وَهوَ نَــزِيلُ

وَالأَرْضُ مَسْبَعَــةٌ تُكَلِّفُــهُ القِــرَى
فَيَجُــودُ بِالمُهَجَــاتِ وَهوَ بَخِيــلُ

قَدْ تُسْتَضَـــافُ الأُسْدُ فِي آجَامِهَـــا
جَهْــلًا بِهِــنَّ وَقَــدْ يُــزَارُ الغِيــلُ

حَــرْبٌ يُدَبِّرُهَــا بِظَنٍّ كَـــاذِبٍ
هــلَّا يَقِينُ الحَزْمِ مِنْهُ بَدِيــــــلُ

وَالظَّنُّ تَغْرِيرٌ فَكَيْفَ إِذَا التَقَـــى
فِي الظَّنِّ رَأْيٌ كَاذِبٌ وَجَهُــــولُ

وَافى وَقَدْ جمعَ القَبَائِلَ كُلَّهـــــا
وَكَفَاكَ مِنْ نَصْرِ الإِلَهِ قَبِيــــــلُ

جَمَعَ الكَتَائِبَ حَاشِداً فَثَنَاهُـــــمْ
لك قبلَ إِنْفَاذِ الجُيُوشِ رَعِيـــلُ(4)

---

1) نَفَّلَهُ النَّفْل : أعطاه إياه والنَّفْلُ الغنيمة والزيادة والهبة .
2) إيهاً : اسمُ فعل للاستزادة .
3) الجحدر: الرّجل الجعد الأطراف القصير والأنثى جحدرة يعني الضعيف العاجز – طويل الباع : كريم مقتدر وضدّهُ قصير الباع .
4) الرّعيل : القطعة المتقدّمة من الرجال والخيل .

والنَّصْرُ لَيْسَ يُبِينُ حَقَّ بَيانِــــــه
إلَّا إذا لَقِيَ الكَثِيرَ قَليـــــلُ
جاؤُوا وَحَشْوُ الأَرْض مِنْهُمْ جَحْفَــلُ
لَجِبٌ وَحَشْوُ الخَافِقَيْنِ صَهيـــلُ(1)
ثُمَّ انْثَنَوْا لاَ بِالرِّمَاحِ تَقَصُّـــدٌ
بادٍ وَلا بالمُرْهَفات فُلُـــولُ(2)
نَزَلُوا بِأَرْضٍ لَمْ يَمَسُّوا تُرْبَهَـــا
حتَّى كَأَنَّ وُقوعَهُمْ تَحْليـــلُ(3)
لَمْ يَتْرُكوا فيها بِجَعْجَاعِ الـــرَّدى
إلَّا النَّجيعَ على النَّجيع يَسيـــلُ(4)
إنَّ التي رَامَ الدُّمُسْتُقُ جَرْبَهـــا
لِلَّه فيها صَارِمٌ مَسْلُـــولُ
لاَ أَرْضُها حَلَبٌ ولاَ سَاحَاتُهـــا
مِصْرٌ ولا عَرَضُ الخَلِيجِ النِّيــلُ(5)
لَيْتَ الهِرَقْلَ بَدا بِها حتَّى انْثَنَـــى
وعلى الدُّمُسْتُقِ ذِلَّةٌ وخُمـــولُ
تلكَ التي أَلْقَتْ عليهم كَلْكَـــلاً
ولها بأَرْض الأَرْمَنين تَليـــلُ(6)

---

1) جحفَلٌ لَجبٌ : جيش كثيف ذو جلبة وكثرة .
2) تَقَصّدٌ : تكسّر . أراد أنّهم فرّوا دون أن يقاتلوا فلم تتكسّر رماحهم ولم تتثلّم سيوفهم .
3) تحليل : أراد بها وقتا قليلا . أي كأنهم أرادوا أن يبرّوا بيمين حلفوها .
4) الجعجاع : الموضع الضيّق وأراد بجعجاع الموضع الضيّق للمعركة .
5) العَرْض : ناحية الشيء ووسطه . في هذا البيت تعريض بالدولة العباسية .
6) الكلكل : الصّدر — أرض الأرمنين : أرمينيّة — التّليل : الصّريع .

يَرْتَابُ منها المَوْجُ وهو غُطامِطٌ
ويُراعُ منها الخَطبُ وهو جليلُ

نَحَرَتْ بِها العَرَبُ الأَعاجِمَ إنَّها
رُمْحٌ أَمَقٌّ وَلَهْذَمٌ مَصْقُولُ(1)

مَاذاكَ إلاَّ أَنَّ حَبْلَ قَطِينِها
بِحبَالِ آلِ مُحَمَّدٍ مَوْصولُ

ذَرْهُ يُجَمِّعُ ألفَ ألفَ كَتِيبَةٍ
فهو النَّكُولُ وَجَمْعُهُ المَفْلُولُ(2)

وَهْوَ الذى يُهدي حُماةُ رِحالِهِ
نَفَلاً إِلَيْكَ فَهَلْ لَدَيْكَ قَبولُ

لَوْ كُنْتَ كَلَّفْتَ الجيوشَ مَرَامَها
كَلَّفْتَها سَفَراً إليه يَطُولُ

فَلْتَعْلَمِ الأَعْلاَجُ عِلْماً ثاقِباً
أَنَّ الصَّلِيبَ وقَدْ عَزَزْتَ ذَليلُ

هَلْ كانَ يُعْرَفُ لِلبَطارِقِ قَبْلَ ذا
بَأْسٌ وَرَأْيٌ في الجِلاَدِ أَصيلُ

أَهْلُ الفِرَارِ فَلَيْتَ شِعْرِي عَنْهُمْ
هَلْ حُدِّثُوا أَنَّ الطِّباعَ تَحولُ

الأَكْثَرِينَ تَخَمُّطاً وَتَكَبُّراً
ما لَمْ تُهَزَّ أَسِنَّةٌ ونُصولُ(3)

---

1) الأمَقُّ : الطَّويل – اللَّهْذَمُ : السَّيف .

2) ذَرْهُ : دَعْهُ والضَّمير يعود إلى الدُّمُسْتُق – النَّكول : من نَكَلَ أي نكص وجبن .

3) التَّخَمُّطُ : الغضب مِن تَكَبُّر .

حَتّى إذا ارْتَعَصَ القَنا وَ تَلَمَّظَــــتْ
حَرْبٌ شَروبٌ للنُّفوس أكُــــــولُ(1)

رَجعوا فأبْدَوْا ذلَّةً وضَرَاعَـــــــةً
وإلى الجبِلَّة يرجعُ المجبُــــــولُ

وَلَيغْزُوَنَّهم الأَحَقُّ بِغَزْوِهـــــــمْ
واللّهُ عَنْهُ بِما يَشاءُ وَكيــــلُ

وَلَتُدْرِكَنَّ المَشْرِفِيَّةُ فيهـــــمْ
مَا يَنْثَني عَنْ دَرْكه التَّأميـــــلُ

وَلَيُسْمَعَنَّ صَليلُهَا في هامهــــــمْ
إنْ كانَ يُسْمَعُ للسُّيوفِ صَليـــلُ

وَلَيَبْلُغَنَّ جِيادُ خَيْلِكَ حيثُ لَـــمْ
يَبْلُغْ صَباحٌ مُسْفِرٌ وأصيـــلُ

كَمْ دَوَّخَتْ أوْطانَهُمْ فَتَرَكْتَهــــا
والمَالُ نَهْبٌ والدِّيارُ طُلـــــولُ

نَامَتْ مُلوكٌ في الحَشايا وانْثَنَـــتْ
كَسْلى وطَرْفُكَ بالسُّهاد كَحيـــلُ

لَنْ يَنْصُرَ الدينَ الحَنيف وأَهْلَـــهُ
مَنْ بَعْضُهُ عنْ بَعْضه مَشغـــولُ

تُلهيكَ صَلْصَلَةُ العوالي كُلَّمــــا
أَلْهَتْ أولئكَ قَيْنَةٌ وشَمـــولُ

وبِذَاكَ حَسْبُكَ أَنْ تُجَرِّرَ لأْمَـــةً
وبِحَسْبِ قَوْمٍ أَنْ تُجرَّ ذُيـــولُ(2)

---

1) ارْتَعَصَ : اشتدّ اهتزازُه ـ تَلَمَّظَتْ : تتبَّعَتْ بلسانها بقيّة الطّعام في فمها .
2) لأْمَةٌ : تجمع على لأم ولُؤَم : الدّرعُ سُميت لأمة لإحكامها وجوْدة حلَقها.

لاَ تَعْدَمَنَّك أُمَّةٌ أَغْنَيْتَهـــــــــا
وهَدَيْتَها تَجْلو العَمَى وَتُنيــــــــلُ
مَنْ يهْتَدي دونَ المُعزِّ خَليفـــــــةً
إنَّ الهدَايةَ دُونَهُ تَضْليـــــــلُ
مَنْ يَشْهَدُ القرآنُ فيه بفَضْلـــــــه
وَتُصَدِّقُ التَّوْراةُ والإنْجيـــــــلُ
والوَصْفُ يُمْكنُ فيه إلاَّ أنَّـــــــهُ
لا يُطْلَقُ التَّشْبيهُ والتَّمْثيـــــلُ
والنَّاسُ إنْ قيسوا إلَيه فَإنَّهُـــــم
عَرَضٌ لَهُ في جَوْهَرٍ مَحمـــــــولُ
غَامَرْتُهُ فَعَجَزْتُ عَنْ إدراكـــــــه
لَكنَّهُ بِضَمائري مَعْقـــــــولُ(1)

---

1) غَامَرْتُهُ : اجتهدت أن أدركه.

أعززتَ دينَ محمّد (من الطويل)

من أخطر الوقائع بين الفاطميّين والرّوم واقعة مَجاز مسّينَى وما تبعها من معارك حول مدينة رمطة التي تقرّر بسقوطها في أيْدي المسلمين سنة 354 هـ : 965م مصيرُ صقلّية لمدّة طويلة فتغنّى ابن هاني بذلك الانتصار واستغلّه لمنافحة أعداء الفواطم . وفي العينات التّالية تَمْجيدٌ للمعزّ وتعريضٌ ببني أميّة وبني العبّاس وإشارةٌ إلى وِفادة «نيقولاَ» سَفيرِ الإمبراطور البيزنطي «نقفور فوكاس» على الخليفة الفاطميّ بإفريقيّة يحمل له الجزية ويعرض عليه الصلح . وقدْ هَالَ ذلك السّفيرَ ما رأى من عَظمة المُعزّ، وما شاهده في قصره من مظاهر الأُبهة. وعَلِمِ أنَّ الرّوم قد أخطأوا عندما سمّوه «ملك المتبربرين». وكان قدوم «نيقولا» إلى المعزّ في سنة 357 هـ.

ألاَ في سَبيل الله تَبْذُلُ كُلَّ ما	تضِنُّ به الانواء وهي جَمودُ
فَلا غَرْوَ أنْ أعْزَزْتَ دينَ مُحَمّد	فَأنْتَ لَهُ دونَ الأَنام عَقيدُ(1)
وَباسْمكَ تَدْعوه الأعادي فَإنّهُمُ	يُقرّونَ حَتْماً وَالمُرادُ جُحودُ
غَضِبْتَ لَهُ أنْ ثُلَّ بالشّام عَرْشُه	وَعادَكَ مِنْ ذكْرِ العَواصِمِ عيدُ(2)

1) العقيد : المُعَاقِدُ والمُعَاهدُ .

2) «عادَكَ مِنْ ذكْرِ العَوَاصِمِ عيدُ» : أي تذكَّرْتُ العواصِمَ مرّةً بعد أخرى وأصابك بذكر سقوطها حزن . والعيدُ ما عادَكَ من مرض أو حزن — والعواصم : حصون موانع بين حلب وأنطاكية في الشام كان المسلمون يعتصمون بها . وها هنا إشارة إلى تغلّب الرّوم على المسلمين في تلك النّواحي — ثُلّ : هُدِمَ .

فَبِتَّ لَهُ دونَ الأَنَامِ مُسَهَّـــــــــــدَاً
وَنَامَ طَلِيقٌ خائنٌ وطـــــريـــدُ(1)

بِرَغْمِهِمُ أَنْ أَيَّدَ الحقَّ أَهْلُـــــــــهُ
وأَنْ باءَ بالفِعْلِ الحَمِيدِ حميـــــدُ(2)

فَلِلْوَحْيِ مِنْهُمْ جاحِدٌ ومُكَــــــذِّبٌ
ولِلدِّينِ منهم كاشِحٌ وعنـــــودُ(3)

وما سَرَّهُمْ ماسَـاءَ أَبْنـاءَ قَيْصَـــــر
وتلكَ تِراتٌ لَمْ تَـزَلْ وحُقُــودُ(4)

هُمُ بَعُدُوا عنهمْ على قُرْبِ دارِهِـــــمْ
وجَحْفَلُكَ الدّاني وأنْتَ بَعيـــــدُ

وَقُلتُ : أَنَاسٍ ذا الدُّمستقُ شُكْـــرَهُ
إذا جاءَهُ بالعَفْوِ منك بَريـــــدُ

وَتَقْبيلَهُ التُّرْبَ الذي فَوْقَ خَــدِّهِ
إلى ذِفْرَيَيْهِ من ثَراهُ صَعيـــــدُ(5)

تُناجيكَ عنهُ الكُتْبُ وهي ضَراعَــةٌ
ويَأتيكَ عنه القَوْلُ وهو سُجـــودُ

---

1) الطّليق: ج طُلَقاء والمراد بهم بنو العبّاس والمشهور أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم خلّى عن أبي سفيان وجماعة من بني أميّة وأطلقهم يوم فتح مكة فلم يسترقّهم. وقد جيء يومئذ بالعبّاس إلى النبيّ في غزوة بدر سنة 3 هـ فأخذ منه الفدية وأطلقه ولذا يسمّي ابن هاني بني العبّاس أهل الطّليق – آل الطّريد: بنو أمية .
2) باء : رجع .
3) الكاشحُ : العدُوّ .
4) التِّراتُ ، الواحدَةُ تِرَةٌ : الثّأرُ والتّاءُ تاءُ عوَض عوّضت الواو . أصْلُ تِرَة من وَتَرَ يَتِرُ وَتْراً: أصابَهُ بظُلْم أو مَكْرُوه. والوَتْر والوِتْرُ بفتح الواو وكسرها هو الانتقامُ أو الظّلم فيه .
5) الذّفرى : العَظْم خلف الأذن .

إذا أَنْكَرَتْ فيها التَّراجِمُ لَفْظَـــــهُ
فَأَدْمعه بينَ السُّطورِ شُهــــــوذ

لَيالِيَ تَقْفو الرُّسْلَ رُسْلٌ خَواضِــــعٌ
ويَأْتيكَ مِنْ بَعْدِ الوُفود وُفـــــودُ

وَما دَلَفَتْ إلاَّ الهُمـــــومُ وَراءَهُ
وإنْ قالَ قَوْمٌ إِنَّهنَّ حُشُـــــودُ(1)

ولكنْ رَأى ذُلاًّ فَهانَتْ مَنيَّـــــةٌ
وَجَرَّبَ خُطباناً فَلَذَّ هَبيــــــدُ(2)

وَعَرَّضَ يَسْتَجْدي الحِمَامَ لِنَفْسِـــــه
وبَعْضُ حِمامِ المُسْتَريحِ خُلــــودُ

فَإنْ هَزَّ أَسْيافَ الهِرَقْلِ فَإنَّهــــا
إذا شِئْتَ أَغْلاَلٌ لَهُ وقُيُـــــودُ

أَفي النَّوْمِ يَسْتامُ الوغى وَيَشُبُّهــا
فَفيمَ إذاً يلقَى القَنا فَيَحيــــدُ(3)

وَيُعْطِي الجِزَا والسِّلمَ عن يَدٍ صَاغِـــرٍ
ويقضي وَصَدْرُ الرُّمْحِ فيه قَصيــدُ(4)

أَلَيْسَ عَجيباً أَنْ دَعاكَ إلى الوَغَـــى
كَما حَرَّضَ اللَّيثَ المُزَعْفَرَ سِيــدُ(5)

---

1) دَلَفَ يَدْلِفُ : مشى كالمُقَيَّد وقارب الخَطْوَ .

2) الخُطْبَانُ : الحَنْظَلُ وأراد به شدّة الحرب وأهوالها . — الهبيدُ مُرَادِف الحَنْظَـــل .

3) يَسْتَامُ ، من استَامَ السِّلعة : سأل سَوْمَهَا أي تعيين ثمنها .

4) قَصيـدٌ : متكسِّـر .

5) المُزَعْفَرُ : الورديّ اللَّون — السِّيدُ : الذِّئـب .

كذَا بِكَ عَزْمٌ للخُطوبِ مُوَكَّلٌ عليهم وسَيفٌ للنُّفوسِ مُبيد

إذا هَجَروا الأَوْطانَ رَدَّهُـــــمُ إلى
مَصارِعِهمْ أنْ ليس عنك مَحيـــدُ

وإنْ لم يكُنْ إلاّ الدِّيارُ وَرُعْتَهُـــمْ
فَتِلْكَ نَواويسٌ لهم ولُحــــودُ(1)

ألا هَلْ أتَاهُمْ أنَّ ثَغْرَكَ موصَــــدٌ
وليسَ لهُ إلاّ الرِّماحَ وَصيـــدُ(2)

وَعَزْمُكَ يَلْقى كُلَّ عَزْم مُمَلَّـــك
كَما يَتَلاقَى كائِدٌ ومَكيــــدُ

وفُلْكُكَ يَلْقى الفُلْكَ في اليَمِّ من عَـلٍ
كما يَتَلاقَى سَيِّدٌ ومَسُـــودُ

فَلَيْتَ أبَا السِّبْطَيْن والتُّرْبُ دونَـــهُ
يَرى كَيفَ تُبْدِي حكمَهُ وتُعيـــدُ(3)

وَمَلْكَكَ ما ضَمَّتْ عليه تهائــــمٌ
ومَلْكَكَ ما ضَمَّتْ عليه نُجـــودُ(4)

إذاً لَرَأى يُمْناكَ تُخْضِبُ سَيْفَــــهُ
وأنْتَ عنِ الدِّينِ الحَنيفِ تَـــذودُ

إليْكَ يَفِرُّ المُسلمونَ بِأسْرِهِمْ وَقَدْ وُتِرُوا وَتْراً وأنْتَ مُقيدُ(5)

---

1) النَّوَاوِيس ، الواحد ناووس : حجر منقور فيه جثّة الميت وأراد هنا بالنّاووس مقبرة النّصارى .

2) الوصيد : بيت كالحظيرة .

3) أبو السِّبْطَيْنِ الحَسَنِ والحسَين هو عليّ بن أبي طالب .

4) التّهائم ، الواحدة تِهامة: بلاد شماليّ الحجاز. — النّجود ، الواحد نَجْد: ما ارتفع من تِهامةَ إلى أرض العراق .

5) وُتِروا : ظُلموا . — مُقيد : مُنْتَقِم ، وهو من القَوَد : القِصَاص .

فليعبدوا غيرالمسيح (من الكامل)

كانت صقلية في عصر المعزّ مركز صراع قويّ بين الفاطميّين والرّوم. وكان مسيحيو صقلية يستعينون بأباطرَة بيزنطا وبعساكر الإقليمَيْن الرّومانيَيْن الغربيّ والشّرقيّ على محاربة أهل الجزيرة المسلمين وعمّال الفاطميّين بها من الأسرة الكلبيّة. وفي العينات التّالية المقتبسة من مطوّلة شعريّة استهلّها ابن هانئ بالنّسيب تقريظٌ للمُعزِّ وتَغَنٍّ بانهزام الرّوم وبانتصار الفواطم في صقليّة :

لَكَ صدْقُ وَعْدِ اللهِ في فُرقانـــــــه
لا ما يَقولُ الجاهلونَ الضُّلَّـــــلُ

نَصَرَ الإلَهُ على يَدَيْكَ عِبَـــــادَهُ
وَاللهُ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ ويَخْـــــذُلُ

لَنْ يَسْتَفيقَ الرُّومُ منْ سَكَراتِهِــــمْ
إنَّ الذي شَرِبوا رَحيقٌ سَلْسَـــــلُ

عَرَفُوا بكَ المَلِكَ الذي يَجِدونَــــهُ
في كُتْبِهِمْ وَرَأوا شُهودَكَ تَعْــــدِلُ

وَنَحَتْ بني العَبَّاس منْكَ عَزيمَـــــةٌ
قد كان يَعْرِفُها المَليكُ الهِرْقِـــلُ(1)

1) نَحَى الشّيء : قصـــده .

فَلْيَعْبُدوا غَيْرَ المَسيح فَلَيْسَ فـــي
دينِ التَّرَهُّبِ عَنْ سُيوفكَ مَزْحَـــلُ[1]

حَمَلُوا مَنايَا الخوف بَيْنَ ضُلوعهـــمْ
إنَّ الحِذَارَ هُوَ الحِمامُ الأَعْجَـــلُ[2]

وَهَلِ اسْتَعاروا غيرَ خوف قُلوبهـــمْ
أَوْ حُدِّثُوا أَنَّ الطِّباعَ تُحَـــوَّلُ

لَهُمْ الأَماني الكاذباتُ تَغُرُّهُـــمْ
وَلَنا جُيوشُكَ والقَنا والأَنْصُـــلُ

حَسْبُ الدُّمُسْتُقِ منكَ ضَرْبٌ أَهْـرَتٌ
هَدِلٌ مَشَافِرُهُ وطَعْنٌ أَنْجَـــلُ[3]

ووَقائعٌ بِالجِنِّ منها أَوْلَـــقٌ
وكَتَائِبٌ بِالأُسْدِ منها أَفْكَـــلُ[4]

جَيْشٌ تَخُبُّ سَفينُـــهُ وَجِيادُهُ
فَتَضيقُ طَامِيةٌ وَقُفٌّ مَجْهَـــلُ[5]

لَمْ يَبْقَ صُبْحٌ مُسْفِرٌ لَمْ يَنْبَلِـــجْ
فيه ولَمْ يَبْرَحْهُ لَيْلٌ أَلْيَـــلُ

في كُلِّ يَوْمٍ مِنْ فُتوحِكَ رَائـــحٌ
غادٍ تَطيبُ به الصَّبا وَالشَّمْـــأَلُ

---

1) المَزْحَلُ: الموضِع يُزحَلُ إليه وقد يكون مصدرا ميميًا من زَحل الرّجل عن مكانه إذا تَنَحّى وتباعد.

2) الحذَار: مصدر حاذَر.

3) الأهرَتُ: الواسعُ الشِّدقَيْن وهنا بمعنى الواسع. ـــ الهَدلُ المَشافر: المُسْتَرْخي. والمشافر استعملت للشفرات وهي السكاكين العظيمة. ـــ أنجل: من قولهم طعنة نجلاء أي واسعة.

4) الأولقُ كالأفكل: الجنون أو شبهُهُ.

5) الطّامية: البحر الزّاخر ـ القُفُّ بِضمّ القاف: ما ارتفع من الأرض.

تلْكَ الجَزِيرَةُ مِنْ ثُغُورِكَ بَـــرْزَةٌ
نُـورُ النُّبُـوَّةِ فَوْقَهَـا يَتَهَلَّـــلُ(1)
أَرْضٌ تَفَجَّرَ كُلُّ شَيءٍ فَوقَهـــا
بِدَمِ العدى حَتَّى الصَّفا والجَنْـدَلُ(2)
لَمْ يَبْقَ فيها للأَعاجِمِ مَلْجَـــأٌ
يُلْجَا إِليه ولا جَنَابٌ يُؤْهَـــلُ
مَنَعَ المَعَاقِلَ أَنْ تكونَ مَعَاقِـــلاً
مَوْجُ الأَسِنَّةِ حَوْلَها يَتَصَلْصَـــلُ(3)
وَرَجَا البَطارِقُ أَنْ تكون لثَغْرِهـــمْ
بَاباً فَغودر وهو عَنْهُمْ مُقْفَـــلُ
مَا كَرَّ جَيْشُكَ قَافِلاً حَتَّى خَلَـــت
تلْكَ الهضَابُ مُنِيفَةً والأَجْبُـــلُ(4)
منْ كُلِّ مَمْنُوعٍ صَياصِيَها يُـــرَى
لَيْلاً بِحَيْثُ يُرى السِّماكُ الأَعْـزَلُ(5)
ضَمِنَ الدُّمُسْتُقُ منْكَ مَنْعَ حَرِيمهـــا
هَلاَّ امْتناعَ حَرِيمه لَوْ يَعْقِـــلُ(6)

1) بَرْزٌ ، مؤنّثُهُ بَرْزَةٌ منْ بَرَزَ يبرُزُ برازةً : فاقَ أصحابَهُ فضلاً أو شجاعة.
2) الصّفـا والجنـدل : الصّخر والحجارة .
3) يقـال صَلّ الحديد وصلصل بمعنى صوّت وصيغـة فَعْلَلَ تفيد الحركة والاضطراب
4) مُنيفـة : اسم الفاعل من أناف أي ارتفـع وأشرف .
5) الصّياصي ، الواحدة صيصيـة : الحصن وكلّ ما يمتنع منه . ـ السّماكان : كوكبان نيّران يقـال لأحدهما السّماك الرّامح وللاخر السّماك الأعزل وسمّيَ أعزل لأنّه لا شيء بين يديه من الكواكب كالأعزل الذي لا رمح له .
6) (ضمن الدّمستق الخ. . .) المعنى : ضمن الدّمستق أن يمنع منك أهل تلك الحصون فهلاّ ضمن أن يمنع منك أهل نفسه أي حريمه وأولاده لو كان عاقلا .

١٥٥

وَأراد نَصْرَ المُشركينَ بِجَحْفَلٍ
لَجِبٍ فَأوَّلُ ما أُصيبَ الجحْفَلُ

فَكَتَائبٌ أعْجَلْتَها لمْ تَنْجَفِلْ
وَكَتَائِبٌ في اليَمِّ خاضَتْ تَجْفُلُ(1)

والمَوْجُ منْ أنْصَارِ بَأسِكَ خَلْفَها
فالمَوْجُ يُغْرِقُهَا وَسَيْفُكَ يَقْتُلُ

كُنَّا نُسَمِّي البَحْرَ بَحْراً كاسْمِه
وَنَقولُ فيه للسَّفائِنِ مَعْقِلُ

فإذَا بِهِ منْ بعض عُدَّتكَ التي
ما للدُّمُسْتُقِ عَنْ رَداها مَزْحَلُ

فَكَأنَّهُ لَكَ صَارِمٌ أعْدَدْتَهُ
وَكَأنَّهُ مُذْ ألْفِ عام يُصْقَلُ

ذا المَجْدُ لاَ يُبْغَى سِواهُ وذا الذي
يبقى لآلِ مُحَمَّدٍ وَيُؤَثَّلُ(2)

والمَدْحُ في مَلِكٍ سواكَ مُضَيَّعٌ
والقَوْلُ في أحَدٍ سواكَ تَقَوُّلُ

أفَغَيْرُ عَصْرِكَ يُرْتَجَى أمْ غَيْرُ نَيْـ
لِكَ يُجْتَدَى أمْ غَيْرُ كَفِّكَ يُسْألُ

قَدْ عَزَّ قَبْلَكَ أنْ يُعَدَّ لِمَعْشَرٍ
مَلِكٌ هُمامٌ أوْ جَوادٌ مِفْضَلُ

لَوْ كُنْتَ أنْتَ أبَا البَرِيَّةِ كُلِّها
ما كانَ في نَسْلِ العباد مُبَخَّلُ

---

1) جفل وانجفل وتجفّل: نفر وهرب مسرعا.
2) المُؤثَّلُ من المجد والأثيلُ: الأصيل منه. من الأثلة وهو الأصل.

ولكَ الشَّفاعةُ كَأسُها وحِياضُهـــــا
ولكَ المعينُ تَعُلُّ منه وتَنْهِـــــلُ
وكَفاكَ أنْ كُنتَ الإمامَ المُرْتَضَـــى
وأبوكَ إنْ عُدَّ النَّبِيُّ المُرْسَـــلُ
لي مُهْجَةٌ تَرْفَضُّ فيك تَشَيُّعـــــاً
حتَّى تَكادَ مع المدائح تَهْمُـــلُ(2)

2) ارفضَّ ارفضَاضاً (الدّمعُ): سال. وتَرَشَّش وهنا إشارة إلى تعلقه الشّديد بإمامه المعزّ وبمذهبه ـ هَمَلَتِ السّماءُ تهمُل: دامَ مَطَرها في سكون.

وَدَاعُ جَوهَرٍ (من الطويل)

قال ابن تَغْرِي بَرْدِي في كتابه «النّجوم الزّاهرة» عن ظروف غزو مصر منْ قبَلِ القاطميّين في سنة 358 ﻫ = 968 م : «جهّز المعزُّ جَوْهَراً إلى أخذ مصر بعد موت الأُستاذ كافور الإخشيدي وأرسل معه العساكر وهو المقدَّمُ على الجميع . وكان رحيلُه من إفريقيّة في يوم السّبت رابع عشر شهر ربيع الأوّل سنة ثمان وخمسين وثلثمائة . وتسلَّم مصرَ في يوم الثلاثاء ثامن عشر شعبان من السّنة ... وكان المعزّ لمّا ندب جَوْهراً هذا إلى التّوجُّه إلى الدّيار المصريّة أصْحَبَهُ من الأموال والخزائن ما لا يُحصى، وأطلق يده في جميع ذلك ، وأفرغ الذهب في صور الأَرْحَاء وحَمَلها على الجِمال لعِظم ذلك في قلوب النّاس». وقال ابنُ خلّكان في «وَفيات الأعيان» : «وكان مَعَ جَوْهَرٍ ألفٌ ومائتا صندوق من الأموال على الجمال وجندٌ يَرْبو عددُه على مائة ألف وخَيْلٌ يزيد عددها على عدد الجند بكثير .» وبمناسبة خروج جوهَرٍ في الجيش من القيروان قال ابن هانئٍ مُطوّلةً شعريّة منها :

رَأَيْتُ بِعَيْني فَوْقَ مَا كُنْتُ أَسْمَعُ
وَقَدْ رَاعَني يَوْمٌ منَ الحَشْرِ أَرْوَعُ

غداةَ كأنَّ الأُفْقَ سُدَّ بِمثْلِهِ
فَعادَ غُروبُ الشَّمْسِ منْ حَيْثُ تَطْلُعُ

فَلَمْ أَدْرِ إذْ سَلَّمْتُ كَيْفَ أُشَيِّعُ
وَلَمْ أَدْرِ إذْ شَيَّعْتُ كَيْفَ أُوَدِّعُ

وَكَيْفَ أَخُوضُ الجَيْشَ والجيْشُ لُجَّةٌ
وإنِّي بِمَنْ قَدْ قَادَهُ الدَّهْرُ مُولَـــعُ

وأيْنَ وَما لي بَيْنَ ذَا الجَمْعِ مَسْلَـــكٌ
وَلا لجَوادي في البَسيطة مَوْضِـــعُ

ألاَ إنَّ هذا حَشْدُ مَنْ لَمْ يَذُقْ لَـــهُ
غِرارَ الكَرى جَفْنٌ وَلا باتَ يَهجَـعُ(1)

نَصيحَتُهُ للمُلْكِ سَدَّتْ مَذاهِبِــــي
وَما بَيْنَ قيدِ الرُّمْحِ والرُّمْحِ إصْبِـعُ(2)

فقَدْ ضَرِعَتْ منْهُ الرَّواسي لِمَّا رَأَتْ
فكيفَ قُلوبُ الإنْسِ والإنْسُ أَضْرَعُ(3)

فلاَ عسْكَرٌ من قَبْلِ عَسْكرِ جَوْهَـــرِ
تَخُبُّ المَطايا فيه عَشْراً وَتُوضِـــعُ(4)

تَسيرُ الجِبالُ الجامداتُ بِسَيْــــرِه
وتَسْجُدُ من أدْنَى الحَفيفِ وتَرْكَـــعُ(5)

إذا حَلَّ في أَرْضٍ بَناها مدائنـــــاً
وإنْ سارَ عَنْ أَرْضٍ ثَوَتْ وَهْيَ بَلْقَعُ

سَمَوْتُ لَهُ بَعْدَ الرَّحيلِ وَفَاتَنــــي
فَأَقْسَمْتُ ألاَّ لاءَمَ الجَنْبَ مَضْجَـــعُ(6)

---

1) الغِرَارُ : القليل من النَّوم وغيره .
2) القِيدُ بِكسر القاف والقادُ : القَدْرُ .
3) ضَرِع ضَرَعاً وضَرَاعَةً : ضعف وذلَّ .
4) أوْضَعَت الناقة : أسْرَعَتْ في سَيْرِها .
5) الحفيف : الصَّوت .
6) سَمَوْتُ له : أراد نَهضْتُ لِوَدَاعِهِ ــ لاءم : وافق .

فَلمّا تداركتُ السُّرادِقَ في الدُّجـــى
عَشَوْتُ إليْه والمَشَاعِلُ تُرْفَــــعُ(1)

فتَخرُقُ جَيْبَ المُزْنِ والمُزْنُ دالــحٌ
وتوقدُ مَوْجَ اليَمِّ وَاليَمُّ أَسْفَــــعُ(2)

فبِتُّ وَباتَ الجَيْشُ جَمًّا سَميـــره
يُؤرِّقُني والجِنُّ في البيد هُجَّـــعُ(3)

وَهَمْهَمَ رَعْدٌ آخِرَ اللَّيْلِ قاصِــفٌ
وَلاحَتْ معَ الفَجْرِ البَوارِقُ تَلْمَــعُ

ولـمْ تَعْلَمِ الطَّيْرُ الحَوائمُ فَوْقَنـــا
إلى أَيْنَ تَسْتَذْري وَلا أَيْنَ تَفْــزَعُ(4)

إلى أنْ تَبَدَّى سَيْفُ دَوْلَةِ هَاشِـــم
على وَجْهه نورٌ مِنَ اللهِ يَسْطَـــعُ

كَأنَّ ظلالَ الخافقات أمامَـــــهُ
غَمائمُ نَصْرِ اللهِ لا تَتَقَشَّـــعُ(5)

كَأنَّ السُّيوفَ المُصْلَتَاتِ إذا طَمَـــت
على البَرِّ بَحْرٌ زَاخِرُ المَوْج مُتْــرَعُ

كَأنَّ أَنَابيبَ الصِّعَاد أَراقِـــمٌ
تَلَمَّظُ في أنيابِها السُّمُّ مُنْقَــعُ(6)

---

1) السّرادِقُ تجمع على سُرادقات (فارسية) : الخيمـــة .
2) الدّالح : المثقـل بالماء – أسْفَعَ : أسْوَد .
3) سميره ، من السَّمَر : الحديث في اللّيل – هُجَّع : نيام ، الواحد هاجع .
4) تستذري تلجأ – تفزَع : تستغيث .
5) الخافقات : وهي راية الجيش الخافقة في الهواء.
6) أنابيب الصّعاد : الرّماح الواحدة صعدة – أراقم، الواحد أرقم: الحيّات – تَلَمَّظَ أصلها تتلَمَّظ بمعنى تخرج ألسنتها – المنقع : المربى من السمّ.

كَأَنَّ العِتَاقَ الجُرْدَ مَجْنوبَةٌ لَهُ
ظِباءٌ ثَنَتْ أَجْيادَها وَهْيِ تُتْلَعُ(1)

كَأَنَّ حُماةَ الرَّجْلِ تَحْتَ رِكَابِهِ
سُيولُ نَداه أَقْبَلَتْ تَتَدَفَّعُ(2)

كَأَنَّ صعابَ البُخْتِ إِذْ ذُلِّلَتْ لَهُ
أُسارَى مُلوكٍ عَضَّها القِدُّ ضُرَّعُ(3)

كَأَنَّ خَلاَخِيلَ المطايا إذا غدتْ
تَجاوَبُ أَصْدَاءُ الفَلا تَتَرجَّعُ

لَقَدْ جَلَّ مَنْ يقْتَادُ ذا الخَلْقَ كُلَّهُ
وَكُلٌّ لَهُ مِنْ قائمِ السَّيْفِ أَطْوَعُ

تَحُفُّ بِهِ القُوَّادُ والأَمْرُ أَمْرُهُ
وَيَقْدُمُهُ زِيُّ الخلافَةِ أَجْمَعُ

وَيَسْحَبُ أَذْيالَ الخِلاَفَةِ رادِعاً
بِهِ المِسْكُ مِنْ نَشْرِ الهُدى يَتَضَوَّعُ(4)

لَهُ حُلَلُ الإِكْرامِ خُصَّ بِفَضْلِها
نَسائجَ بِالتِّبْرِ المُلَمَّع تَلمعُ

بُرودُ أَمِيرِ المُؤْمِنينَ بُرُودُهُ
كَساهُ الرِّضَى مِنْهُنَّ ما لَيْسَ يُخْلَعُ(5)

---

1) تُتْلَعُ: ترفع رؤوسها.
2) الرَّجْلُ، الواحد راجل: خلاف الرّاكب.
3) البخت: الإبل الخراسانية، الواحد بُخْتِيّ — القِدّ بكسر القاف: سَيْر جلد يُقيّد به الأسير — عَضَّهُ: اشتدّ عليه — ضُرَّع، الواحد ضارع: ذليل خاضع.
4) الرّادع: ما كان فيه أثر الطّيب. — النَّشْر: الرّيح الطيّبة.
5) الرّضى: هو المعزّ

وبَيْـنَ يَدَيْـهِ خَيْلُـهُ بِسُروجِـهِ
تُقَـادُ عَلَيْهِـنَّ النُّضَارُ المُرَصَّـعُ(1)

وَأَعْـلامُـهُ مَنْشـورَةٌ وَقِـبَـابُـهُ
وَحُجَّابُـهُ تُـدْعَـى لِأَمْـرٍ فَتُسْـرِعُ

مَلِيكٌ تَرى الأَمْلاكَ دُونَ بِساطِـهِ
وأَعْناقُهُمْ مِيلٌ إلى الأَرْضِ خُضَّـعُ

قِياماً على أَقْدَامِها قَدْ تَنَكَّبَـتْ
صَوارِمها كُلٌّ يُطيعُ ويَخْضَـعُ(2)

تَحِلُّ بُيوتُ المال حَيْثُ يَحِلُّـهُ
وَجَمُّ العطايَا والرِّواقُ المُرَفَّـعُ

إذا ماجَ أطنابُ السُّرادِق بالضُّحَـى
وقَامَتْ حَوالَيْهِ القَنا تَتَزَعْـزَعُ

وَسَلَّ سُيوفَ الهِنْدِ حَوْلَ سَريـرِهِ
ثَمانون أَلْفاً دَارِعٌ ومُقَنَّـعُ(3)

رَأَيْتُ مَنَ الدُّنْيا إليه مَنُوطَـةً
فَيَمْضِي بِما شاء القَضاءُ ويَصْـدَعُ

وَتَصْحَبُهُ دارُ المُقامَةِ حَيْثُمـا
أَنَاخَ وَشَمْلُ المُسْلِمينَ المُجَمَّـعُ

وَتَعْنُو لَهُ السَّاداتُ مِنْ كُلِّ مَعْشَـرٍ
فَلا سَيِّدٌ منه أَعَزُّ وأَمْنَـعُ

---

1) النُّضار : الذّهب والفضّة وقد غلب على الذّهب.

2) تَنَكَّبَت : وضعت على مناكبها.

3) المُقَنَّع ، مَنْ تَقَنَّع بالسِّلاح : دخل فيه . ـ الدّارع : لابس الدّرع.

فَلِلَّهِ عَيْنَا مَنْ رَآهُ مُخَيِّمــــــــاً
إذا جَمَعَ الأَنْصارَ لِلإِذْنِ مَجْمَــــعُ
وَأَقْبَلَ فَوْجٌ بَعْدَ فَوْجٍ فَشاكِــــرٌ
لَهُ أوْ سَؤُولٌ أوْ شَفيعٌ مُشَفَّــــعُ(1)
فَلَمْ يَفتَأُوا مِنْ حُكْمٍ عَدْلٍ يَعُمُّهُـــــمْ
وعارِفَةٍ تُسْدى إليهم وَتُصْنَــــعُ
يسُوسُهُمُ مِنْهُ أَبٌ مُتَكَفِّــــــلٌ
بِرَعْيِ بَنِيهِ حافِظٌ لا يُضَيِّــــعُ
فَسِتْرٌ عَلَيْهم في المُلِمَّاتِ مُسْبَــــلٌ
وَكَنْزٌ لهم عند الأَئِمَّةِ مُــــودَعُ
وَنُودِيَ بِالتَّرْحَالِ فِي فحمةِ الدُّجـــى
فَجاءَتْهُ خَيْلُ النَّصْرِ تَرْدِي وتَمْــزَعُ(2)
وَأَضحى مُرَدًّى بالنِّجَادِ كَأَنَّـــــهُ
هِزَبْرُ عَرِينٍ ضَمَّ جَنْبَيْهِ أَشْجَــعُ(3)
فَكَبَّرَتِ الفُرسَانُ لِلَّهِ إذْ بــــــدا
وَصَلَّ السِّلاَحُ المنتضى يَتَقَعْقَــعُ
وَعَبَّ عُبَابُ المَوْكِبِ الفَخْمِ حَوْلَــهُ
وزَفَّ كما زَفَّ الصَّباحُ المُلَمَّــعُ(4)
لَقَدْ فازَ منه مَشْرِقُ الأَرْضِ بالَّتــي
تَفِيضُ لها مِنْ مغربِ الأَرْضِ أدْمُعُ

---

1) مُشَفَّعُ : مقبول الشفاعة .
2) تردي : ترجم الأرض بحوافرها — تمزّع : تُسرع .
3) مُرَدّى بالنّجاد: حاملاً السّيف. والنّجاد حمائل السيف — الأشجع : نوع من الحيّات .
4) زَفّ : لمع .

فَسِرْ أيُّها المَلْكُ المُطاعُ مُؤيَّـــــداً
فَلِلدِّينِ والدُّنيَا إليْكَ تَطَلُّـــــعُ
وقَدْ أَشْعَرَتْ أَرْضُ العِرَاقَيْنِ خِيفَـــةً
تَكَادُ لَها دارُ السَّلاَمِ تضَعْضَـــعُ
وأعْطَتْ فِلِسْطينُ القِيادَ وأهلُهـــا
فَلَمْ يَبْقَ منها جَانِبٌ يَتَمنَّـــعُ
ومَا الرَّمْلَةُ المَقْصورَةُ الحَظْوِ وَحْدَهــا
بأوَّلِ أَرْضٍ مالها عَنْكَ مَفْـــزعُ
رحَلْتَ إلى الفُسْطاطِ أَيْمَنَ رِحْلَـــةٍ
بأيْمَنِ فَالٍ في الذي أنتَ مُجْمِـــعُ
وَلمَّا حَثَثْتَ الجَيْشَ لاَحَ لأَهْلِـــهِ
طَريقٌ إلى أقْصَى خُراسانَ مَهْيَـــعُ(1)
إذا اسْتقْبَلَ النَّاسُ الرَّبيع وقدْ غــدتْ
مُتونُ الرُّبَى في سُنْدُسٍ تتلفَّـــعُ(2)
وَقدْ أخضلَ المُزْنُ البِلاَدَ ففُجِّـرَتْ
يَنابِيعُ حَتَّى الصَّخْرُ أخضلُ أمْـرَعُ(3)
وَأَصْبَحَتِ الطُّرْقُ التي أنْتَ سَالِـــكٌ
مُقدَّسَةَ الظُّهْرَانِ تُسْقى وَتُرْبَـــعُ(4)
وَقدْ بَسَطتْ فيها الرِّياضُ دَرانِكـــاً
مِنَ الوشْيِ إلاَّ أنَّهَا ليْسَ تُرْقَـــعُ(5)

---

1) المَهْيَع : الواضح .
2) السّندس : نوع من الدّيباج الرّقيق — تتلفّع : تشتمل وتتغطّى .
3) أخضل : مبتلّ — أمرع : مُخصب .
4) مُقدّسة : مسقية بالقوادس وهي أوعية للماء — تربع : تُمطر
5) الدّرانك : البسط المنقوشة ، الواحد درنك .

وَغرَّدَ فيها الطَّيْرُ بالنَّصْرِ واكْتسَت
زرَابِيَّ مِنْ أَنْوارها لا تُوَشَّعُ (1)

سقاها فرَوَّاها بِك اللهُ آنِفاً
فنِعْمَ مَرَادُ الصَّيْفِ والمُتربَّعُ(2)

وَما جَهلِتْ مِصْرٌ وَقدْ قِيل مَنْ لها
بِأنَّك ذاك الهِبْرِزِيُّ السَّمَيْذعُ(3)

وَأَنَّك دُون النَّاسِ فاتِحُ قُفْلِهَا
فأنْت لهَا المَرْجُوُّ والمُتوَقَّعُ

فإن يَكُ في مِصْرٍ رجالٌ حُلومها
فقدجاءهم نِيلٌ سوى النِّيلِ يُهْرِعُ(4)

وَيَمَّمَهُمْ مَنْ لا يَغير بِنِعْمَة
فيَسْلُبَهُمْ لكِنْ يَزِيدُ فيوسِعُ(5)

وَلوْ قدْ حَططْتَ الغيْث في عُقْرِ دَارِهِمْ
كشفْت ظلامَ المَحْلِ عنهم فأمْرَعوا (6)

وَدَاوَيْتهُمْ مِنْ ذلِك الدَّاءِ إنَّهُ
إلى اليَوْم رِجْزٌ فيهمُ ليسَ يُقْلِعُ(7)

---

1) تُوَشَّع ، من وُشع الثوب : جعل له أعلام.
2) آنفاً : في أوّل وقت ــ مَرَادُ الصَّيف : الموضع الذي ينزل فيه النّاس أيّام الصّيف. ــ المُتَرَبَّع : الموضع الذي ينزل فيه النّاس أيّام الرّبيع.
3) الهبْرزي : الأسد ــ السَّمَيْذع : السّيد الكريم الشّريف السّخي.
4) يُهرع : يُسرع.
5) يَغير : ينْفع.
6) أمْرَعوا : أخصبوا.
7) الرِّجْزُ : العذاب بالكسر والضّمّ.

وكفكفتَ عَنْهُمْ مَنْ يَجور وَيَعْتَـــدي
وَأَمَّنْتَ مِنْهُمْ مَنْ يخافُ ويَجْـــزَعُ(1)

إذًا لرَأَوْا كَيْفَ العَطايَا بِحقِّهـــــا
لِسائِلِها مِنْهُمْ وكيف التَّبَـــرُّعُ

وَأَنْسَاهُمُ الإِخْشِيدَ مَنْ شِسْـعُ نعْلِـــهِ
أَعَزُّ مِن الإِخْشيدِ قدْرًا وَأَرْفَـــعُ(2)

سَيَعْلَمُ مَنْ ناواك كَيْفَ مَصِيـــرُهُ
ويُبْصِرُ مَنْ قارَعْتَهُ كيف يُقْـــرَعُ(3)

تَقِيكَ اللّيالي والزّمانُ وأَهْلُــــهُ
وَمُصْفِيكَ مَحْضَ الوِدِّ والمُتصنِّـعُ

تحَمَّلْتَ أَعْباءَ الخِلافةِ كُلَّهـــــا
وَغَيْرُك في أَيّام دُنْياهُ يَرْتَـــعُ

نَصحْتَ الإمامَ الحقَّ لمَّا عَرَفْتَـــهُ
وما النُّصْحُ إلاَّ أَنْ يكون التَّشيُّـعُ

فأنْت أَمِينُ اللهِ بَعْدَ أَمِينِـــــهِ
وَفي يَدِك الأَرْزاقُ تُعطِي وتَمْنَـــعُ

---

1) كفكفه عنه : دفعه وصرفه .
2) الشِّسْعُ : قبال النّعل وهو زمام بين الأصبع الوسطى والتي تليها . — الإخشيد : هو أبو بكر محمد بن طغج من أولاد ملوك فرغانة وهو الذي ولاّه الخليفة العبّاسيّ القاهر باللّه ولاية مصر سنة 321هـ. ثم إنّ الرّاضي بالله لقّبه بالإخشيد وهو أستاذ كافور الإخشيدي ممدوح المتنبّي .
3) ناواك : مسهّل ناوأك أي عاداك — قارعته: ضاربته — يُقرَع : يُغلب بالمُقارعة .

فَتح مِصْـــر (من الطويـل)

لمَّا عَلِم المعزّ بموت كافور الإخشيدي وَبتوَلّي أحمد بن علي بن الإخشيد مُلْكَ مِصْرٍ وهو صغيرٌ فنابَهُ في الحكم ابنُ عمّ أبيه الحسن بن عبد الله بن طغج بَعَث قائدَه جَوْهَرًا على رأس جيشٍ كثيفٍ لِيَحْتلّ ذلك الإقليم ويتّخذه قاعدة انطلاقٍ لإكْتساح العراقِ واحتلال بغدادَ عَاصمة الخلافة العبّاسيّة . وقد رَحَل جَوْهَر من القيروان يوم السّبت 14 ربيع الأول سنة 358 هـ. وَوَصَل إلى مصر بعد خمسة أشهر في منتصف شعبان من نفس السّنةِ. وأقام الخطبة في الجامع العتيق باسم المُعزّ. واختار موضع العاصمة الجديدة للدّولة الفاطميّة ووضع أسسها وسمّاها القاهرة.

ولمّا دخل جوهر مصر بادر الحسين بن جعفر الحسني العلوي في الحجاز بامتلاك مكة ودعا للمعز. وفعل مِثْلهُ أبو مسلم العلوي بالمدينة. وانقطعت دعوة بني العبّاس في سنة 358 هـ من مصر والحِجاز واليمن والشّام وطوّقهم الفاطميّون من الغرب والجنوب . ولم تزل الدّعوة لبني عبيد في مصر من سنة 358 هـ إلى سنة 565 هـ. وهي سنة انقراض دولتهم على يد السّلطان صلاح الدّين يوسف بن أيّوب. وبمناسبة سقوط مصر في أيدي الفواطم قال ابن هاني :

تقولُ بنُو العَبَّاس هَلْ فُتِحتْ مِصْــرُ
فقُلْ لِبنِي العَبَّاسِ قدْ قُضِيَ الأَمْــرُ

وَقَدْ جَاوَزَ الإِسْكَنْدرِيَّةَ جَوْهَـــــرٌ
تُطالِعهُ البُشْرى وَيَقْدمُهُ النَّصْــــرُ

وَقَدْ أَوْفَدَتْ مِصْرٌ إِليْهِ وُفُودَهـــا
وَزِيدَ إِلى المَعْقودِ مِنْ جِسْرِها جِسْــرُ (1)

فما جاءَ هذا اليَوْمُ إلاَّ وَقَدْ غَـــدَتْ
وَأَيديكُمُ منها ومِنْ غَيْرِها صِفْــرُ

فلا تُكْثِرُوا ذِكْرَ الزَّمانِ الَّذي خَـــلا
فذلِكَ عَصْرٌ قدْ تقضَّى وذا عَصْــرُ

أَفي الجَيْشِ كُنْتُمْ تَمْترون رُوَيْدَكُـمْ !
فهذا القنا العَرَّاصُ والجَحْفلُ المَجْرُ (2)

وَقدْ أَشْرفتْ خيْلُ الإِلهِ طوَالِعـــاً
على الدِّين والدُّنيا كما طلعَ الفجْــرُ

وَذا ابنُ نبِيٍّ اللهِ يَطْلُبُ وِتْـــرَهُ
وكان حَرٍ أنْ لا يَضيع لهُ وِتْـــرُ (3)

ذَرُوا الوِرْدَ في ماءِ الفُراتِ لِخَيْلِـــهِ
فلا الضَّحْلُ مِنْهُ تَمْنعُون وَلا الغَمْــرُ (4)

---

1) الجسر (المعنى) لعلَّ سبب زيادة جسر آخر كثرةُ عسكر جوهر كأنَّ الجسر الواحد لم يكن كافيا لمرورهم ومرور الوفود الطَّالبة للصّلح.

2) تمترون: تَشُكُّونَ من المِرَاء – العَرَّاصُ: المضطرب الكثير اللَّمعان. الجحفَل المَجْرُ: الجيش العظيم.

3) الوِتْرُ بالكسر والفتح والتِّرَةُ: الظلْمُ وأكثر ما يستعمل في العداوة بسبب القتل. يجمع على أوتار. وههنا بمعنى الثأر للطالبيين الذين قُتلوا والثأر للحقّ المغتصب. حَرٍ، الحَرِيّ هو الجدير.

4) ذَرُوا الأمر من وَذَرَ: ذَرْهُ أي دعهُ واحذرهُ. وتقول في المضارع يَذَرُهُ أي يدعه وأماتت العرب ماضِيَهُ ومصدره واسم الفاعل منه فإذا أريد الماضي قيل تَرَكَ أو المصدر قيل التَّرك أو اسم الفاعل قيل التَّارِك – الضّحل: الماء القليل على الأرض لا عُمق له ومنه « بِلادُكُمْ مَحْلٌ وماؤه ضَحْلٌ » – الغَمْرُ: الماء الكثير. =

أَفي الشَّمْسِ شكٌّ أَنَّها الشَّمْسُ بعْدما
تجلَّتْ عِياناً ليْسَ مِنْ دونِها سِتْر

وَما هِيَ إلاَّ آيَةٌ بَعْد آيـة
وَنُذْرٌ لكُمْ إنْ كان يُغْنيكُمُ النُّذْرُ(1)

فكونوا حَصيدًا خامِدين أَوِ ارْعَووا
إلى ملِكٍ في كفِّهِ الموْتُ والنَّشْرُ

أَطِيعوا إماماً للأَيمَّةِ فاضِلاً
كما كانتِ الأَعمالُ يَفْضُلُها البِرُّ

فإنْ تتبَعوهُ فهو مَوْلاكُمُ الَّذي
لهُ بِرسولِ اللهِ دونكُمُ الفَخْرُ

وإلاَّ فبُعْدًا لِلبعيدِ فبيْنهُ
وَبيْنكُمْ مالا يُقرِّبُهُ الدَّهْرُ

أَفي ابْنِ أَبي السِّبْطيْنِ أمْ في طَلِيقِكُمْ
تنزَّلت الآياتُ وَالسُّوَرُ الغُرُّ؟(2)

ذَرُوا النَّاسَ رُدُّوهُمْ إلى مَنْ يَسُوسُهُمْ
فما لكُمْ في الأَمْرِ عُرْفٌ ولا نُكْرُ(3)

أَسَرْتُمْ قُروماً بالعِراقِ أَعِزَّةً
فقدْ فُكَّ مِنْ أَعْناقِهِمْ ذلك الأَسْرُ(4)

= يجمع على أغمار من غَمَرَ غَمْرًا الماءُ كذا إذا علاهُ وغطّاهُ.

1) النُّذْرُ: من أنذره بالأمر إنذارا ونذرا ونُذرا.

2) ابن أبي السِّبْطَين: ابنُ علي بن أبي طالب – الطَّليق: هو عبّاس بن عبد المطَّلب جدّ العبّاسيّين وقد جيء به إلى النبيّ أسيرًا في غزوة بدر فأخذ منه الفدية وأطلقه.

3) العُرْفُ، ضِدّ النكر: الاسم من الاعتراف بمعنى الإقرار.

4) القَرْمُ: ج قُروم: السيّد على التَّشبيه بالقَرْم من الإبل أي الفحل إذا تُرِك عن الرّكوب والعمل.

وَقَدْ بَزَّكُمْ أَيَّامكُمْ عُصَبُ الهُـــدى
وَأَنْصارُ دينِ اللهِ والبيضُ والسُّمْـــرُ(1)

وَمُقْتَبَلٌ أيَّامُهُ مُتهلِّـــــــــــلٌ
إِلَيْهِ الشَّبابُ الغضُّ والزَّمَنُ النَّضْـــرُ(2)

أَدارَ كما شاءَ الوَرَى وَتَحَيَّـــزَتْ
عَلَى السَّبْعَةِ الأَفْلاكِ أَنْمُلُهُ العَشْـــرُ(3)

أَتَدْرُون مَنْ أَزْكى البَرِيَّةِ مَنْصِبــــاً
وَأَفْضلُها إِنْ عُدِّدَ البَدْوُ والحَضْـــرُ؟

تعَالَوْا إِلى حُكَّام كُلِّ قَبيلــــــة
ففِي الأَرْضِ أَقْيَالٌ وَأَنْدِيَةٌ زُهْـــرُ

وَلا تعْدِلُوا بِالصَّيدِ مِن آلِ هَاشِـــم
وَلا تَتْرُكُوا فِهْرًا وما جَمَعَتْ فِهْـــرُ(4)

فجِيئُوا بِمَنْ ضمَّتْ لُؤيٌّ بنُ غالِـــب
وَجِيئُوا بِمَنْ أَدَّتْ كِنانَةُ والنَّضْـــرُ

وَلا تَذَروا عَلْيَا مَعَدٍّ وغيرِهــــــا
لِيُعْرَفَ مِنْكُمْ مَنْ لهُ الحقُّ وَالأَمْـــرُ

ومِنْ عَجَبٍ أنَّ اللِّسان جَرَى لهُـــمْ
بِذِكْرٍ على حِينِ انْقَضَوْا وانْقضى الذِّكْرُ

---

1) بَزَّكُم: سلبكم. — عُصَبٌ مفرده عُصْبَةٌ وهي الجماعة التي تَتَعصَّبُ للرّجل ومنه العصبيّة. وعصب الهدى هم أهل الهدى وهم الفاطميون في نظر الشّاعر.

2) مُقتبلٌ أيّامُه: أي أيّامُه الغَضَّةُ الطرية كناية عن شباب الممدوح الغضّ. — متهلّل: متلألىء من البشر والسرور.

3) تَحَيَّزَ الشيء: حَصَلَ في الحيّز وهو المكان من حازه إذا ضمّه وجمعه.

4) لا تعدلوا بالصَّيدِ: لا تنحرفوا عنهم — فِهر: قبيلة هي أصل قريش.

فبَادُوا وعَفّى اللهُ آثارَ مُلكِهِـــــم

فلا خبَرٌ يَلْقاك عَنْهُمْ ولا خُبْــــرُ(1)

ألا تِلْكُمُ الأَرْضُ العَريضةُ أَصْبَحَــتْ

وَما لِبَنِي العبَّاسِ فِي عَرْضِها فِتْــرُ(2)

فقدْ دَالتِ الدُّنْيَا لآلِ مُحَمَّــــد

وَقدْ جَرَّرَتْ أَذْيالَها الدَّوْلَةُ البِكْـــرُ(3)

وَرَدَّ حُقُوقَ الطَّالِبِيِّين من زكــت

صنائعُهُ فِي آلِهِ وَزَكا الذُّخْـــرُ

مُعِزُّ الهُدى والدِّينِ والرَّحِمِ التــي

بِهِ اتَّصلتْ أَسْبَابُهُ وَلهُ الشُّكْــرُ

منِ انْتاشَهُمْ في كُلِّ شرقٍ ومَغْــرِبِ

فبُدِّلَ أَمْناً ذلكَ الخوْفُ والذُّعْــرُ(4)

وَلمَّا تولَّتْ دَوْلةُ النَّصْبِ عَنْهُــمُ

توَلَّى العَمَى والجَهْلُ وَاللُّؤْمُ والغَــدْرُ(5)

حُقُوقٌ أَتتْ مِنْ دُونِها أَعْصُرٌ خلــتْ

فما رَدَّهَا دَهْرٌ عليهم ولا عَصْـــرُ

---

1) الخُبْر بضمّ الخاء : العلم بالشّيء .

2) ألا : أداة تنبيه وصارت من القوالب الشعرية . – فِتْرٌ بالكسر : ما بين طرف الإبهام وطرف السّبابة إذا فتحتهما .

3) جرّ الذّيل : عبارة عن الخُيَلاء من الفخر .

4) انْتَاشَهُ من الهلكة : أغرقه .

5) دَوْلَةُ النّصب : أي دولة المبغضين لعليّ بن أبي طالب والعلويّين بصفة عامة ويقال لهم النّواصب والنّاصبيّة من تصب له الحرب والعداوة إذا أظهرها . – وإذا جاءت الكلمة على لسان أهل السنّة فهي بمعنى الشيعة الذين نَاصَبُوا الخلفاء الراشدين ماعدا علياً ، وههنا يعني العبّاسيين أعداء الفاطميين.

فجرَّدَ ذو التَّاج المقادير دونهـــــا
كما جُرِّدَتْ بيضٌ مَضارِبُهَا حُمْــرُ(1)

فأنْقذهَا مِنْ بُرْثُنِ الدَّهْرِ بَعْدَمَـــبا
تواكَلها القِرْسُ المُنيَّبُ والهِضْـــرُ(2)

فأجْرَى على ما أنْزل اللهُ قسْمَهـــا
فلمْ يُتخرَّمْ منه قُلٌّ ولا كُثْـــرُ(3)

فدُونكُموها أهْلَ بيتِ محَمَّـــد
صفتْ بِمُعزِّ الدِّينِ جَمَّاتُها الكُــدْرُ(4)

فقد صارَتِ الدُّنيا إليكُمْ مَصيرَهَـــا
وصارَ لهُ الحَمْدُ المُضاعَفُ والشُّكْرُ

إمَامٌ رَأيْتُ الدِّينَ مُرْتبِطاً بِـــــهِ
فطاعتُه فَوْزٌ وعِصيانُه خُســــرُ

أرى مدحَه كالمدْح لِلّهِ إنـــــه
قُنوتٌ وتسبِيحٌ يُحَطُّ بِهِ الـــوِزر(5)

هو الوارِث الدُّنيا ومن خُلِقت لــــه
مِن الناسِ حتى يلْتقِي القُطْر والقُطْرُ(6)

---

1) بيض ج أبيض وهي صفة السّيف.
2) تَواكَلَها: تشارك في أكلها. — القِرْس: البعوض — المُنَيّب: ذوالنّاب — الهِضرُ: الأسد.
3) يُتَخَرّم: يُستأصَل.
4) جَمَّاتُها، الواحدة جَمّة: معظم الماء.
5) القُنوتُ: الطّاعة، التوّاضع لله — الوِزْرُ: الإثْمُ.
6) «يلتقي القطر والقطر»: قد يكون عني بالتقاء قُطري الارض انتشار السّلام والأمن. يعتقد غلاة الشيعة القائلون بالرجعة أن الإمام يأتي في حين الغفلة وشمول الحيرة وارتفاع العلم وحلول الجهل ليملأ الدّنيا عدلا كما ملئت ظلما.

وما جهِلَ المنصورُ في المهْدِ فضلَــهُ
وَقدْ لاحتِ الأَعْلامُ والسِّمةُ البَهْــرُ(1)

فبشَّرْ بِهِ البيتَ المُحرَّم عاجِــلاً
إذا أَوْجف التطْوافُ بالنَّاسِ والنَّفْرُ(2)

هلِ البيْتُ بيْتُ الله إلاَّ حرِيمُــهُ
وَهَلْ لِغرِيبِ الدَّارِ عن دارِهِ صَبْــرُ؟

مَنازِلهُ الأُولى اللَّواتِي يشقْنَــهُ
فليْس لهُ عنْهنَّ مَعْدًى وَلا قَصْــرُ(3)

وحيْثُ تلقَّى جدُّهُ القُدْسَ وانْتحــتْ
له كلماتُ الله والسِّرُّ والجهْــرُ(4)

فإنْ يتمَنَّ البيْتُ تِلْك فقدْ دنــتْ
مَواقيتُها والعُسْرُ مِنْ بعْدِهِ اليُسْــرُ

وإن حَنَّ مِنْ شوْقٍ إليْك فإنَّــهُ
ليُوجدُ مِنْ ريَّاك في جوِّهِ نشْــرُ

حبيبٌ إلى بَطْحاءِ مَكَّةَ موْسِــمٌ
تُحَيِّي معَدًّا فيه مكَّةُ والحِجْــرُ(5)

هُناك تُضِيءُ الأَرْضُ نُوراً وتلْتقِــي
دُنُوًّا فلا يَسْتبْعِدِ السَّفَرَ السَّفْــرُ(6)

---

1) المنصور: والد المعزّ ولي الخلافة الفاطميّة بين سنتي 334 و341 هـ. ــ السّمة: العلامة. ــ البَهر: التي تبهر بحسنها.
2) أوْجَفَ: أسرع. ــ النَّفْر: نفور الحجّاج من منى واندفاعهم إلى مكّة.
3) معْدًى: تَجاوُزٌ. ــ القَصْرُ: الغاية.
4) جدّه: النبيّ محمد صلى الله عليه وسلم. ــ القدس (رُوح القدس): الملاك جبريل عليه السلام. السرّ والجهر: يعني بهما الظّاهر والباطن، الشّريعة وباطنها في المعتقد الشّيعي.
5) مَعَدٌّ: هو المعزّ ــ الحجرُ: البيت الحرام.
6) السَّفْرُ مفرده سَافر كصحْب وصاحب: المسافرون.

أهنّيك بالفتّح الذي أنا ناظِــــــــر
إليه بِعينٍ ليْس يُغْمِضُها الكُفْــــــر

وما ضرّ مِصْرًا حِين ألقت قِيادَهـــــا
إليكَ أمَدَّ النِّيلُ أمْ غالَهُ جَــــزْرُ(1)

وقدْ حُبِّرَتْ فيها لك الخُطَبُ التــــي
بدائعُها نظمٌ وألفاظُها نَثْــــــــرُ

فلمْ يُهرقْ فيها لِذى ذِمّـــــــةٍ دمٌ
حرام ولم يُحْمَلْ على مسْلِمٍ إِصْــــرُ(2)

غَدَا جَوْهَرٌ فيها غمامةَ رَحْمــــــــةٍ
يَقِي جانِبيْها كلَّ حادِثةٍ تعــــرو

كأنّي بِهِ قد سار في الناسِ سيْـــــرةً
تودّ لها بغْدادُ لوْ أنّها مِصْـــــــرُ

وتحْسُدُها فيه المشارِقُ أنّـــــــــه
سواء إذا ما حَلّ في الأرْض والقطْـــرُ

وليْس الذي يأتي بأوّل ما كفـــــــى
فشُدّ بِهِ مُلْكٌ وسُدّ به ثغْـــــــــرُ

سَننتَ له فيهم مِن العَدْلِ سُنَّـــــــةً
هي الآيَةُ المُجْلى ببرْهانها السِّحـــرُ

وأوْصيْتَهُ فيهم بِرِفْقِك مرْدَفـــــــاً
بِجودِك معقودًا به عهدُك البَـــرُّ

1) غاله غولا : أهلكه وأخذه من حيث لا يدري .
2) الإِصْرُ : الثِقْلُ .

وصاةً كما أوْصى بها اللهُ رُسْلَــــــهُ
وليس بأذْنٍ أنت مُسْمِعها وُقْــــرُ(1)

يَقولُ رِجالٌ شاهدوا يومَ حُكْمِـــــــهِ
بِذا تُعْمَرُ الدنيا وَلوْ أنها قَفْــــر

بِذا لا ضِيِاعٌ حُلِّلوا حُرُماتِهــــــا
وأَقْطاعَها فاسْتُصْفِيَ السَّهْلُ والوَعْــرُ

فحسْبُكُمُ يا أهْلَ مِصْرٍ بِعدْلِـــــــهِ
دَليلاً على العَدْلِ الذي عنه يَفْتَــرُّ(2)

رَضينا لكُمْ يا أهل مِصْرٍ بِدَوْلَــــــةٍ
أطاعَ لنا في ظِلِّها الأَمْنُ والوَفْــرُ

لكُمْ أُسْوَةٌ فِينا قديماً فلم يكـــــنْ
بأحوالنا عنكم خَفاءٌ ولا سَتْــرُ

---

1) الوَقْرُ: أن يذهب السَّمعَ كلّه.
2) افترّ البرق: تلألأ.

أَسفي عَلى الأَحرار (من الكامل)

لمّا اعتلى نقفور فوكاس (Nicephorus phocas) عرش الدولة البيزنطيّة (963 ـ 969م) تقدّم جيْشُهُ إلى حدود سوريا الشّماليّة فاستولى سنة 358 هـ= 969م على أنطاكية التي كان يطمح إلى السّيطرة عليها منذ زمن طويل لأنها كانت مدينة البطارقة والقدّيسين . وبعد سقوط أنطاكية بمدّة وجيزة حاصر الرّوم مدينة حلب واضطرّوا قرْعَوَيْهِ الثّائر آنذاك على سعد الدّولة ابن سيف الدّولة الحمداني إلى عقد صُلْح مَهينٍ مع البِيزنْطيّينَ سنة 359 هـ= 970م . ولمّا زحَف جعفر بن فلاح قائد جَوْهَرٍ على الشّام بَعْدَ أن تمّ فتْحُ مِصْر دَارَتْ مَعَارِكُ بَيْنَ جَيْشِهِ الفاطميّ والرّوم .

ويُحَمِّلُ ابن هانيء في العينات التّالية بني العبّاس مسؤولية المصائب التي حلّت بالشّرق وخاصّة بالشّام . ويعبّر عن رغبة الفواطم في اكتساح العراق ودخول بغداد . ويشير إلى أنّ الرّوم استولوا على أنطاكية وهدّدوا المدن الأُخرى الشّامية . ويجهر بأنّ فَتْحَ مصر قد تمّ نهائياً . ولذا يمكن تأريخ القصيدة بسنة 359 هـ أو بالسّنة الموالية :

ثَغْرٌ أَضاع حرِيمَهُ أَرْبابُـــــــــهُ
حَتّى أُهين عزِيزُهُ واسْتُضْعِفـــــــا

يَصِلُ الرَّنينَ إلى الرَّنينِ لِحـــادِثٍ

يَرْبدُّ مِنْه البَدْرُ حتَّى يُكْسَفــا(1)

مَالِي رأَيْتُ الدِّين قلَّ نَصيــرُهُ

بِالمَشْرِقيْنِ وَذلَّ حتَّى خُوِّفــا؟

هُمْ صَيَّروا خدَماً تسوس أمورَهُــمْ

يا للزَّمانِ السَّوْءِ كيفَ تصَرَّفــا

مِنْ كلِّ مُسْودِّ الضَّميرِ قدِ انْطَـوَى

لِلمسْلمين على القِلى وتلفَّفــا(2)

عُبْدَانُ عبْدانٍ وَتُبَّعُ تبَّـــعٍ

فالفاضِلُ المفضولُ والوَجْهُ القفــا(3)

أسفي على الأَحْرارِ قلَّ حِفاظُهُــمْ

إنْ كان يُغْني الحُرُّ أنْ يتأسَّفــا(4)

لا يُبْعِدَنَّ اللهُ إلاَّ مَعْشَــراً

أَضحَوْا على الأَصْنامِ منكم عُكَّفــا

هَلا اسْتعان بِأهْلِ بيت محمَّــد

مَنْ لم يَجِدْ لِلذُّلِّ عنْكمْ مَصْرَفــا

يا وَيْلَكمْ! أفمَا لكمْ مِنْ صـارِخٍ

إلاَّ بِثغْرٍ ضاعَ أودينٍ عَفــا؟

فمَدينةٌ مِنْ بعْدِ أخرى تُسْتبَــى

وطريقة مِنْ بعْدِ أخْرى تُقْتَفــى

---

1) ارْبدَّ الشَّيء يربدُّ اربداداً: اغبرَّ لوْنُه.
2) قَلاَ فلاناً قلىً وقَلاء: أبْغَضَه. — تَلَفَّف: تَجَمَّعَ من اللَّف وهو ضدُّ النَّشر.
3) العُبدان مفرده عبد (عبدان عبدان) أي هم عبيد عبيد — التُّبَّعُ مفرده تابع.
4) «قلَّ» هنا بمعنى النَّفي من قولهم «قليل من الرِّجال يقول ذلك» أي لا يقول به أحد — الحفاظ: مصدر حافظ عنه: دافع وذبَّ.

حتَّى لقدْ رَجَفتْ دِيارُ رَبيعـــــــةٍ
وتزلْزلتْ أرْضُ العِراقِ تخوُّفَـــــا(1)

والشَّام قدْ أوْدى وأوْدى أهْلُـــــهُ
إلاَّ قليلاً والحِجاز على شَفَـــــا(2)

فعجِبْتُ مِنْ أنْ لا تَميدُ الأرْضُ مـــن
أقطارِها وعجِبْتُ أن لا تُخْسَفَــــا(3)

أيسرُّ قوْماً أنَّ مكَّة غُــــــودِرتْ
بِمَجرِّ جيْشِ الرّومِ قاعاً صفْصفــا(4)

أوَ أنَّ ملْحودَ النَّبِيِّ ورمْسَـــــهُ
بِمدارِجِ الأقدام يُنسفُ مَنْسَفــــا

فتربَّصُوا فالله منْجِزُ وَعْـــــدِهِ
قدْ آن لِلظَّلْماءِ أن تتكشَّفـــــا

هذا المُعِزُّ ابنُ النبيِّ المُصْطفــــى
سَيُذُبُّ عنْ حرَمِ النَّبِيِّ المُصْطفــــى

فِي صدْرِ هذا العامِ لا يَلوِي علـــى
أحَدٍ تلفُّتَ خلْفه وَتوقُّفـــــا(5)

وأنا الضَّمينُ لهُ بِملْكِ قِيادِهِـــمْ
طوْعاً إذا المَلِكُ العَنيفُ تعجْرفـــا

---

1) رجف الرّعد : تردّدت هدْهدَتُه في السّحاب . والرّجفة : الزّلزلة .
2) أودى الرّجل إيداء : هلك . – على شفا أي قد أشرف على الهلاك.
3) مَاد الشيء ميدا : تحرّك – خسَف الله الارض : أساخها وأغابها بما عليها .
4) القاعُ جمعه أقْوُعٌ وأقواع : أرض سهلة مطمئنّة – الصّفصف : المستوي من الأرض الذي لا نبات فيه.
5) لوى عليه يلوي : عطف أو انتظر .

وَبِعَطْفِ أنْفسِهِمْ هَوًى وَنَدًى فلَــــوْ
صُرِف الجُيوشُ أَمِنْتَ أنْ لا تُصْرَفا
فإلى العِراقِ وذَرْ لِمنْ قدَّمْتَـــــــهُ
مِصْرًا فهذا مُلْكُ مِصْرٍ قدْ صفَــــا(1)
وأَرَى خفِيَّاتِ الأُمورِ وَلَمْ تكُــــنْ
بِبَصِيرَةٍ تجْلو القضاءَ المُسْدَفــــا(2)
فكأنَّنِي بالجَيْشِ لد ضاقتْ بِــــهِ
أرْضُ الحِجازِ وبالمَواسِمِ زُلَّفــــا(3)
وَعَنتْ لك العُرْبُ الطِّوَالُ رِمَاحُهــــا
واسْتَجْفلتْ مِمَّا رَأَتْهُ تخوُّفــــا(4)
وَازْدَرْت قبْرَ أَبيك قبْرَ مُحَمَّـــــد
بِمَلائِكِ اللهِ العُلَى مُتكنَّفــــــا(5)
وَرَقَيْتَ مَرْقاهُ وَقُمْتَ مَقامَـــــــهُ
فِي بُرْدَةٍ تُذْرِي الدُّمُوعَ الذُّرَّفــــا
مُتقلِّدًا سَيْفيْنِ : سَيْفَ اللهِ مِــــنْ
نصْرٍ وسَيْفَكَ ذا الفقارِ المُرْهَفــــا(6)
لِيَقِرَّ تحْتك عودُ مِنبَرِه الــــذي
لا يَسْتقِرُّ تحَسُّرًا وتلهُّفـــــا

---

1) « فإلى العراق وَذَرْ لمَنْ...» الخطابُ للمعزّ — والمراد بقوله « مَنْ » القائد جوهر
2) أسْدفَ اللّيلُ : أظلم .
3) زَلَفَ: تقدّم وتقرّب ومنه الزّلفى وهي القُربة .
4) عَنَا يعنو : خضع وذلّ . — استجفل بمعنى انجفل أي مضى وهرب مسرعا.
5) ازدار ، افتعل من الزّيارة — تكنّفه القوم واكتنفوه : أحاطوابه.
6) ذو الفقار : سيف الرّسول عليه الصلاة و السّلام ، قلّده علياً .

وَتُعِيدُ رَوْضَتهُ كأوَّلِ عهْدِهـــــــا
مُتفوِّفاً فيها النَّباتُ تفوُّفـــــــا(1)

وَكأنَّنِي بِك قدْ هَزِجْتَ مُلبِّيـــــــاً
وهَدَجْتَ بَيْن شِعَابِ مَكَّةَ والصَّفـــا(2)

وكأنَّني بِلِواءِ نَصْرِكَ خافِقـــــاً
قَدْ حامَ بَيْنَ المَرْوَتَيْنِ ورَفْرَفـــا

والحِجْرِ مُطَّلِعاً إليك تَشَوُّقـــــاً
والرُّكْنِ مُهْتَزًّا إليك تَشَوُّقـــــا(3)

وسَألْتُ رَبَّ البَيتِ بِابْنِ نَبِيِّـــــهِ
وجَعَلْتُكَ الزُّلْفَى إليه فَأزْلَفـــا

وَكأنَّني بِكَ قَدْ بَلَغْتُ مَآرِبـــــي
وقضَيْت مِنْ نُسْكِ المُوَدِّعِ ما كَفَـى

وخَطَبْتُ قَبْلَ القَوْم خُطبةَ فَيْصَـــلٍ
أُثْنِي عليك فوَعْدُ رَبِّكَ قَدْ وَفَـــى(4)

وخَطَبْتُ بالزَّوْراء أُخْرَى مِثْلَهَـــا
وَوَقَفْتُ بينَ يَدَيْكَ هذا المَوْقِفَـــا(5)

---

1) الفُوفُ: نوع من برود اليمن وثوبٌ مُفوّف: ثوب رقيق فيه خطوط بيض على الطول واشتق من الاسم الفوف فعل تفوّف.

2) هزج: طرّب بصوته — مُلبّياً: من التّلبية في الحج دعاء لبّيك اللّهمّ لبّيك... هدج: مشى الشّيخ وهو في مناسك الحج مشي رويد في ضعف وارتعاش.

3) الحجرُ: أراد به حجر إسماعيل في البيت الحرام. — الرّكنُ: هو الرّكن الحطيم في مكة. وهنا إشارة إلى رغبة الفاطميّين في احتلال الحجاز ودخول مكة.

4) الفيْصلُ: الحاكم والقاضي.

5) الزّوراء هي بغداد. وهنا إشارة إلى رغبة المعزّ في احتلال العراق ودخول بغداد.

مَا شِئْتَ (من الكامل)

تَضارَبَتِ الرِّواياتُ في خصوص تاريخ وَفاة ابن هاني وظروفها. ويؤخذ من بيت وارد في هذه القصيدة أنَّ المُعِزَّ أصبح يُقيمُ في مصر ونحن نعلم أنَّه انتقل إليها سنة 362 هـ. ولذا يستحيل أنْ يكون شاعرُه معه في طريقه إليها وأن تكون وفاتُه في سنة 361 هـ كما يراه ابن الخطيب في «الإحاطة» وابن خَلدون في «كتاب العبر» بل في سنة 362 هـ بُعَيْدَ انتقال المُعزّ إلى مصر.

وفي الأَبيات التّالية مَدْحٌ للمُعزّ واسْتعراضٌ لعناصر من العقيدة الإسماعيليّة في خصوص تعظيم الإمام، وتغنٍّ بفُرسان الفواطم وإشارة إلى حرب وَقعت بِفُرْقُلْس في الشّام بين جيش المعزِّ والشّيعة القرامطة وكان النّصر فيها لعسكر جوهر. وقَبْلَها كان الظّفر للقرامطة الذين احتلُّوا دمشق وقتلوا جعفر بن فلاح قائد الفاطميّين لأنَّ ابن طغج صاحب الشّام كان عاهدهم - قبل أسْره - أن يحمل إليهم كلّ سنة ثلثمائة ألف درهم. فلمّا أسره جعفر ابن فلاح وملك الشّام علموا أنَّ المال يفوتهم فهجموا على دمشق:

مَا شِئْتَ لاَ ما شاءَتِ الأَقْـــــدارُ
فاحكُمْ فأنْتَ الواحِدُ القَهّـــــارُ(1)

---

1) في هذا البيت تتنسّم أثر قول غلاة الشّيعة بمبدإ الحلول ولهذا المبدأ علاقة بتفكير ابن هاني. يقول الإسماعيليّة: لمّا كان في العالم العلويّ عقل كلّيّ ونفس كلّيّة وجب أن يكون في هذا العالم شخص هو كُلٌّ وحكمُه حكمُ الشّخص الكامل البالغ ويسمّونه النّاطق وهو النبيّ ومنْ بعده الإمام. يقول المعرّي:

يرتجي النّاس أن يقوم إمـــــامٌ ناطقٌ في الكتيبة الخرْســـــاء

وكأنّما أنتَ النّبيُّ محمّـــــــــد
وكأنّمَا أنصارُكَ الأنْصَـــــــارُ

أنْت الذي كانَتْ تُبَشِّرُنَا بِـــــهِ
فِي كُتْبِها الأحْبارُ والأَخبـــــارُ(1)

هذا إمامُ المُتّقينَ وَمنْ بِـــــــهِ
قَدْ دُوِّخَ الطُّغيانُ والكُفّـــــــارُ(2)

هذا الذي تُرْجَى النّجاةُ بِحُبِّـــــهِ
وبهِ يُحَطُّ الإصْـــــــــرُ والأوْزارُ(3)

هذا الذي تُجْدِي شَفاعتُهُ غَـــــداً
حَقًّا وَتَخمُدُ أنْ تَراهُ النّـــــــارُ

مِنْ آلِ أحْمَدَ كُلُّ فَخْرٍ لَمْ يَكُـــــنْ
يَنْمى إليهم ليس فيه فَخَـــــارُ

كَالبَدْرِ تَحْتَ غمامَةٍ مِنْ قَسْطَـــــلٍ
ضَحْيانُ لاَ يُخْفيهِ عَنْكَ سِـــــرارُ(4)

· كذَبَ الظن لا إمام سوى العقـــــل مُشيرا في صبحه والمســـاء

ويذهب الإسماعيلية إلى القول بأن الإمام من نور الله وأن جسمه أشرف الأجسام وأن جسمه عقلٌ بالنّسبة لأجسام البشر ويجعلونه كافوريًا من غير لحم ودم. وتقديس الأئمة إلى حدّ التّأليه أحيانا ظاهرة لا يمكن نفيها عن غلاة الشيعة وإن ثار عليها بعض الأئمة وأنكرها قاضي قضاة المعزّ النّعمان المغربي الشّيعي. وكان بعض أئمة الفاطميّين يتظاهرون بمحاربة هذه البدعة حتّى كان زمن الحاكم بمصر (386 — 411هـ) فادّعى الألوهية جهرا وأمر أشياعه بالسّجود له عند رؤيته أو سماع اسمه فضجّ المصريّون من ذلك.

1) الحَبْرُ جمعه أحبار وحبور: العالم الصّالح وهو مأخوذ من تحبير العلم وتحسينه.
2) داخَ البلاد دَوْخا ودَوَّخها: قهرها واستولى عليها.
3) الإصْرُ: الثّقلُ والذّنب يجمع على آصار — الوِزْرُ (مص) وزر يزرُ ج أوزار وهو مرادف الإصر.
4) القسْطلُ: غبار الحرب — الضّحيان: البارز للشّمس — السّرار: آخر ليلة من الشهر.

فِي جَحْفَلٍ هتَمَ الثَّنايا وَقْعُـــــهُ
كالبَحْرِ فَهْوَ غُطامِطٌ زَخّـــــارُ(1)

غَمَرَ الرِّعانَ البَاذِخَاتِ وَأَغْـــرق
القُنَنَ المُنِيفَةَ ذلكَ التَّيّـــارُ(2)

زَجِلٌ يُبَرِّحُ بالفَضاءِ مَضِيقُـــهُ
فالسَّهْلُ يَمٌّ والجِبالُ بِحَـــارُ(3)

لِلَّهِ غَزْوَتُهُمْ غَدَاةَ فَراقِـــس
وقَدِ اسْتُشِبَّتْ لِلْكَرِيهَةِ نَـــارُ(4)

والخَيْلُ تَمْرَحُ في الشَّكِيمِ كَأَنَّهـا
عِقْبانُ صارَةَ شاقَها الأَوْكَـــارُ(5)

مَرَّتْ لِغَايَتِها فَلا واللهِ مـــا
عَلِقَتْ بِها فِي عَدْوِها الأَبْصـــارُ

وعلى مطاها فِتْيَةٌ شِيعِيّـــةٌ
مَا إِنْ لَها إِلاَّ الوَلاَءَ شِعَـــارُ

مِنْ كُلِّ أَغْلَبَ باسِـلٍ مُتَخَمِّـط
كَاللَّيْثِ فَهْوَ لِقِرْنِهِ هَصّـــارُ(6)

قَلِقٌ إلى يَوْمِ الهيـاجِ مُغَامِـــر
دَمُ كُلِّ قَيْلٍ فِي ظُبـاهُ جُبَـــارُ(7)

---

1) هتم يهتم : كسر — الغطامط : مرادف الزّخار .
2) الباذخات، صفة للجبال من بذخ يبذخ بذخا : ارتفع . — القنّة تجمع على قُنَن : الجبل.
3) زجلٌ : مصوت .
4) فراقس ، محرّف عن « فراقلّس » وهو اسم ماء قرب سَلَمية في الشام .
5) الشّكيم، الواحدة شكيمة : هي من اللّجام الحديدة المتعرّضة في فم الفرس. الصّارة : أعلى الجبل وجبل في بلاد العرب .
6) المتخمّط : المتكبّر الغضبان مأخوذ من تخمّط البعير إذا هدر وكذلك خمط الهصّار : اسم مبالغة من هصر الأسد فريسته أي كسرها .
7) القيْلُ بفتح القاف : الملك — الظّبى، مفرده ظُبة : حدّ السّيف أو السّنان . جُبارٌ : مهدور .

إنْ تَخْبُ نارُ الحَرْبِ فهو بِفَتْكِـــهِ
مِيقادُها مِضْرامُها المِغْـــوارُ

فَأَدَاتُهُ فَضفَاضَةٌ وَتَريكَـــةٌ
وَمُثَقَّفٌ وَمُهَنَّدٌ بَتَّـــارُ(1)

أُسْدٌ إذا زَارَتْ وِجَارَ ثَعالِـــبِ
ما إنْ لَها إلاّ القُلوبَ وِجَـــارُ(2)

حَفُّوا بِراياتِ المُعِزِّ ومَنْ بِـــهِ
تَسْتَبْشِرُ الأَمْلاكُ والأَقْطـــارُ

هَلْ لِلدُّمُسْتُقِ بَعْدَ ذَلكَ رَجْعَـــةٌ
قُضِيَتْ بِسَيْفِكَ مِنْهُمُ الأَوْطَـــارُ(3)

أَضْحَوْا حَصيداً خَامِدِينَ وَأَقْفَـــرَتْ
عَرَصاتُهُمْ وَتَعَطَّلَتْ آثـــارُ

كَانَتْ جِناناً أَرْضُهُمْ مَعْروشَـــةً
فأَصَابَها مِنْ جَيْشِهِ إعْصـــارُ(4)

واسْتَقْطَعَ الخَفَقانُ حَبَّ قُلوبِهِـــمْ
وَجَلا الشُّرورَ وَنَخلتِ الأَدْعـــارُ(5)

صَدَعَتْ جُيوشُكَ في العَجاجِ وَعَانَقَتْ
لَيْلَ العَجاجِ فَوِرْدُها إصْـــدارُ(6)

---

1) الفَضْفاضةُ: صفة للدّرع الواسعة ـ التّريكةُ: بيضة الحديد ـ المُثَقّف: صفة للرّمح المقوّم من ثقف ـ البتّارُ: صفة للسّيف القاطع.
2) الوجارُ تجمع على أوْجرةٌ ووُجُرٌ: جُحْرُ الثّعلب وغيره.
3) الوطْرُ تجمع عل أوطار: الحاجة.
4) معروشة: مرفوعة على الخشب.
5) حَبُّ القلوب: هنةٌ فيه ـ الأدعارُ مفرده دعَر بتحريك العين وهو الفساد والشّرّ ومنه الدّعارة.
6) صَدَعَتْ: مضت ومرّت. ـ عانَشت: عانَقَتْ.

عَكَسوا الزَّمانَ عَواثِناً وَدَواخِناً فَالصُّبحُ لَيْلٌ والظَّلامُ نهارُ(1)

واستَبْسَلوا فتَخاضَعَ الشُّمُّ الـــذُّرى

وسَطَوْا فَذَلَّ الضَّيْغَمُ الـــزَّأآرُ

أَبْنَاءَ فاطِمِ هَلْ لَنا فِي حَشْرِنَـــا

لَجَأٌ سِواكُمْ عاصِمٌ ومُجـــارُ؟(2)

أَنْتُمْ أَحِبَّاءُ الإلَهِ وآلُـــهُ

خُلَفَاؤُهُ في أَرْضِهِ الأَبْـــرَارُ

أَهْلُ النُّبُوَّةِ وَالرِّسالَةِ والهُـــدى

في البَيِّناتِ وَسادَةٌ أَطْهـــارُ

والوَحْيِ والتَّأويلِ والتَّحْرِيـــم

والتَّحليلِ لا خُلْفٌ ولا إنْكـــارُ(3)

إنْ قِيلَ مَنْ خَيْرُ البَرِيَّةِ لَمْ يَكُـــنْ

إلَّاكُمُ خَلْقٌ إليهِ يُشـــارُ

لَسْتُمْ كَأَبْنَاءِ الطَّليقِ المُرْتَـــدِي

بالكُفْرِ حتَّى عَضَّ فيهِ إسَـــارُ(4).

رُدُّوا إليهم حَقَّهُمْ وَتَنَكَّبُوا وتَحَمَّلوا فقد اسْتُحِمَّ بَوارُ(5)

---

1) العَوَاثِنُ، الواحدُ عُثان بضم العين: الغبار أو الدّخان ـ الدّواخن، الواحد دخان

2) المُجار : ظرف مكان أي موضع الإجارة : الملجأ والمعاذ.

3) التّأويل: علم التّأويل عند الشّيعة يقابل التّفسير عند أهل السنّة. والتّأويل عند الشيعة هو تأويل ظاهر الشّريعة والقرآن لاستخراج ما يسمّونه الحقيقة والباطن. والإمام عندهم هو قيّم القرآن يعرف التأويل.

4) أبناء الطّليق. كناية عن بني العبّاس والطّليق هو عبّاس بن عبد المطّلب جد العبّاسيين أسر في غزوة بدر فأخذ منه النبيّ صلى الله عليه وسلم الإجازة وأطلقه. ـ ويسمّي ابن هانيءبني أميّة آل الطّريد ـ عضّه إسارٌ : لزمه حبل.

5) تَنَكَّبوا : تجنّبوا ـ تحمّلوا: ارتحلوا ـ استُحِمّ : بمعنى حُم بالبناء للمجهول أي قُضي ومنه الحمام بالكسر وهو قضاء الموت.

يُلْهيهِمُ زَمْرُ المَثَانِي كُلَّمـــا
أَلْهاكُمُ المَثْنِيُّ والمِزمـــارُ(1)

أَمُعِزَّ دِينِ اللهِ إِنَّ زَمانَنـــا
بِكَ فِيهِ بَأْوٌ جَلَّ واستِكْبَـــارُ(2)

هَا إِنَّ مِصْرَ غَداةَ صِرْتَ قَطِينَهـــا
أَحْرَى لِتَحْسُدَهَا بِكَ الأَقْطَـــارُ

شَرُفَتْ بِكَ الآفاقُ وانْقَسَمَتْ بِكَ الـــ
أَرْزَاقُ والآجالُ والأَعْمـــارُ

جَلَّتْ صِفاتُكَ أَنْ تُحَدَّ بِمِقْـــوَل
ما يَصْنَعُ المِصْدَاقُ والمِكْثَـــارُ(3)

واللهُ خَصَّكَ بالقُرَانِ وَفَضْلِـــهِ
وَاخَجْلَتِي ما تَبْلُغُ الأَشْعـــارُ(4)

---

1) زَمْرُ المثاني : ترتيل آيات القرآن ــ المثنيّ ج مثانٍ : ما بعد الأوّل من أوتار العود .
2) بَأْوٌ : فخر
3) المِقْوَلُ : اللّسان .
4) القرانُ : مُسهّل القرآن

لديك جُنودُ الله (من الطويل)

هذه عينات من آخر قصيدة لابن هاني في مدح المعزّ لدين الله، وقد بعث بها إليه بالقاهرة والشّاعر في الزّاب بالجزائر مع عيالِهِ كما يؤخذ من أحد الأبيات. ولذا يمكن تأريخ القصيدة بسنة 362 هـ. وقد استهلّها بالنّسيب:

أَصَاخَتْ فقالَتْ وقْعُ أَجْرَد شَيْظَم
وَشامَتْ فَقَالَتْ لمْعُ أَبْيَضَ مِخْذَمِ (1)

وَمَا ذُعِرتْ إلاَّ لجَرْسِ حُلِيِّها
ولا لَمَحَتْ إلاَّ بُرَى مِنْ مُخَدَّمِ (2)

وما طَعِمَتْ إلاَّ غِرارًا من الكَرى
حِذَارَ كَلُوءِ العَينِ غَيرِ مُهَوَّمِ (3)

حِذَارَ فَتًى يَلْقَى الغَيُورَ بِحَتْفِه
ويَمْرُقُ تَحْتَ اللّيل من جِلد أَرْقَمِ

و منها في مدح المعز والتعريض ببني العبّاس:

لدَيْكَ جُنُودُ اللهِ مِنها رُجُومُهُ فمِنْ مَارِجِ نارٍ وكِسفٍ مُضَرَّمِ (4)

---

1) أصاخَتْ: أصغت — الشّيْظم: الطّويل الجسيم — المخذم: السّريع القطع.

2) الجرس: الصّوت — البرى: الحلقات، الواحدة بُرَة وأراد بها الخلخال — المُخدّم موضع الخلخال.

3) الكلوء: الحارس — المهوم: الذي يهزّ رأسه من النّعاس.

4) الرّجوم: مفرده رَجْمٌ وهو اسم ما يُرجَم به ورَجمه: رماه بالحجارة ومنه قرآن: «لقد زيّنّا السّماءَ الدّنيا بمصابيح وجعلناها رُجوما للشّياطين». — المارج الشّعلة السّاطعة ذات اللّهب الشّديد. — الكِسف الواحدة كسفة: القطعة من الشيء.

تَقُودُهُمُ في الجَيْشِ والجَيْشُ مَنْسَــكٌ
وكُلُّ حَجيجٍ مِنْ مُحِلٍّ ومُحْـــرِمِ (1)

كَما سار في الأَنْصارِ جَدُّكَ مِنْ مِنًــى
وقادَ الحَوَارِيِّينَ عِيسى بنُ مَرْيَــمِ (2)

فَلاَ مُهْجةٌ فِي الأَرْضِ منْك مَنيعَـــةٌ
ولَوْ قَطَرَتْ مِنْ رِيقِ أَرْقَطَ أَرْقَــمِ (3)

قُصَارَاكَ مَلْكُ الأَرْضِ لا ما يَرَوْنَــهُ
مِنَ الحَظِّ فيها والنَّصيبِ المُقَسَّــمِ

وَلاَبُدَّ مِنْ تِلكَ التي تَجْمَعُ الــورى
على لاحِبٍ يهْدِي إلى الحَقِّ أَقْــوَمِ (4)

فَقَدْ سَئِمَتْ بِيضُ الظُّبَى مِنْ جُفُونِهـا
وكَانَتْ مَتَى تَأْلَفْ سِوَى الهام تَسْأَمِ

وَقَدْ غَضِبَتْ لِلدِّينِ باسِطُ كَفِّــهِ
إليهِنَّ في الآفاقِ كَالمُتَظَلِّــمِ

وَلِلعَرَبِ العَرْبَاءِ ذَلَّتْ خُدُودُهـــا
ولِلفَتْرَةِ العَمْياءِ في الزَّمَنِ العَمِــي

وللعِزِّ في مِصْرٍ يُرَدُّ سرِيـــرُهُ
إلى ناعِبٍ بالبَيْنِ يَنْعِقُ أَسْحَـــم

---

1) المَنسَك : العبادة والموضع تذبح فيه النَّسيكة .

2) الحواريّون مفرده الحواريّ يعني به الأصفياء الخلصاء من حَور الثّياب: بيّضها وكلّ شيء خلص لونه فهو حواريّ .

3) الأرْقط: من الحيّات ما فيه رَقط وهو سواد يشوبه نُقط بياض أو بياض يشوبه نقط سواد – الأرقم : أخبث الحيّات .

4) اللاّحب : الطّريق الواضح .

وَلِلْمُلْكِ فِي بِغْدَادَ أَنْ رُدَّ حُكْمُهُ
إلى عَضُدٍ فِي غَيْرِ كَفٍّ ومِعْصَمِ

إلى شِلْوِ ميْتٍ في ثِيابِ خَلِيفَةٍ
وَبِضْعِ لِحَامٍ في إهابٍ مُوَرَّمِ (1)

فإنْ يَكُنِ العبْدُ اللَّئِيمُ نِجارَه
فَما هُوَ مِنْ أَهْلِ العِرَاقِ بِأَلْأَمِ (2)

سَوَامٌ رِتَاعٌ بَيْنَ جَهْلٍ وَحَيْرَةٍ
وَمُلْكٌ مُضاعٌ بينَ تُرْكٍ وَدَيْلَمِ (3)

كَأَنْ قَدْ كَشَفْتَ الأَمْرَ عَنْ شُبُهَاتِهِ
فَلَمْ يُضْطَهَدْ حقٌّ ولم يُتَهَضَّمِ

وَفَاضَ دَماً مَدُّ الفُراتِ وَلَمْ يَجُزْ
لِوارِدِهِ طُهْرٌ بِغَيْرِ تَيَمُّمِ

فَلا حمَلَتْ فُرْسَانَ حَرْبٍ جِيادُها
إذاً لَمْ تَزُرْهُمْ مِنْ كُمَيْتٍ وَأَدْهَمِ (4)

وَلا عَذُبَ الماءُ القُراحُ لِشَارِبٍ
وفي الأَرْضِ مَرْوانِيَّةٌ غَيْرُ أَيِّمِ (5)

---

1) الشِّلْوُ بالكسر والشَّلا : الجلد والجسد من كلّ شيء وكلّ مسلوخة أُكل منها شيء فبقيّتُها شلو . ـ البِضْعة بالفتح وقد تكسر : القطعة من اللّحم ـ الإهاب: الجلْدُ .

2) النّجار : الأصل والحسب .

3) سوائم مفرده سائمة وهي الإبل الرّاعية التي لا تعلف في العطن. ـ الرّتاعُ مفرده راتعة (المعنى) يشير إلى وزراء الخلافة العبّاسية وقوّادهم من ترك وديلم .

4) الكُميت من الخيل ج كُمت (للمذكر والمؤنّث): ما كان لونه بين الأسود والأحمر.

5) القُراح: الماء الخالص ـ الأيّمُ من النّساء: التي لا زوج لها بكرا كانت أو ثيّبا والجمع أيائم وأيامَى .

أَلاَ إنَّ يَوْماً هاشِمِياً أَظَلَّهُـــم
يُطِيرُ فَراشَ الهامِ عَنْ كُلِّ مِجْثَمِ

مدحْتُكُمُ عِلْماً بِما أَنا قائـــلٌ
إذا كان غَيْرِي زَاعِماً كُلَّ مَزْعَمِ

وَلَوْ أَنَّنِي أَجْرِي إلى حيثُ لا مَـدى
مِنَ القَوْلِ لَمْ أَحْرَجْ ولَمْ أَتأثَّمِ

لَكُمْ جَامِعُ النُّطْقِ المُفَرَّقِ في الـورى
فَمِنْ بَيْنِ مشروحٍ وآخَرَ مُبْهَمِ

وفي النَّاسِ عِلْمٌ لا يظُنُّونَ غَيْرَهُ
وذلكَ عُنْوانُ الصَّحِيفِ المُخَتَّمِ(1)

إذا كانتِ الأَلْبابُ يَقْصُرُ شَأْوُها
فَظُلْمٌ لِسِرِّ اللهِ إنْ لَمْ يُكَتَّمِ

إذا كانَ تَفْريقُ اللُّغاتِ لِعِلَّـة
فَلاَ بُدَّ فيها من وَسِيطٍ مُتَرْجِمِ

وَآيَةُ هذا أَنْ دحَا اللهُ أَرْضَهُ
وَلَكِنَّها لَمْ تُرْسَ مِنْ غَيْرِ مَعْلَمِ(2)

لَكَ الفَضْلُ حتَّى مِنك لي كُلُّ نِعْمَة
وكُلُّ هُدًى ما كُلُّ هادٍ بِمُنْعِمِ

وإنِّي وإنْ شَطَّ المَزَارُ لَراجِعٌ
إلَى وِدِّ قَلْبٍ في ذُرَاكَ مُخَيِّمِ

وأُقْسِمُ أَنِّي فيكَ وَحْدِي لَشِيعَةٌ
وكُنْتُ أَبَرَّ القائِلين بِمُقْسَمِ

---

1) قوله: «وذلك...» أراد به علم الإمام فهو باطن كالكتاب المُخَتَّم (المختوم)

2) آية: علامة بالصفاء والنور — دحا: بسط — المَعْلَم: ما يُستدَلّ به على الطريق.

وَلَوْلاَ قَطِينٌ فِي قَصِيٍّ مِنَ النَّـــوى
لَما كانَ لي في الزّابِ مِنْ مُتَلَـــوَّمِ(1)

---

1) أراد بالقطين : أهل بيته. ـ المُتَلَوَّم : مكان التّلوّم أي الانتظار والتّمكّث .

الوَصفُ

وَصف الأسطول (من الطويل)

اهتمّ المعزّ بإنشاء أسطول عظيم قهر به الروم، وأرغمهم على طلب الهدنة. وسلّطه على المَريّة في عُقر دار الأمويّين بالأندلس. واستعمله لإمداد جوهر بالعساكر والمؤن والعتاد عندما غزا مصر. وتوزّعت السُّفن الفاطميّة في عرض البحر الأبيض المتوسّط ثمّ في البحر الأحمر. ورابطت في مِيناءَيْ المهديّة وسوسة بإفريقية (تونس)، وفي جزيرة صقلّيّة، وفي برقة بطرابلس ثم في الفسفاط، وفي دمياط على النّيل وفي الإسكندريّة، وفي موانئ الشّام مثل صور وعَكّا وعسقلان، وفي عِيذاب على البحر الأحمر بعد أن انتقل الفواطم إلى الشّرق.

وكان لبني عبيد إلى جانب الأُسطول الحربيّ أسطولان تجاريّان أحدهما في البحر الأبيض المتوسّط والآخر في البحر الأحمر. وكانت ترافقهما سفن حربيّة لدفع القراصنة عنهما.

والسّفن في الأُسطول الفاطميّ أنواع منها الشّواني (ج شينيّ أو شونيّ) وهي المشتملة على الأبراج للدّفاع والهجوم وعلى المخازن لحَمل الحبوب وعلى الصّهارج لخزن الماء. ومنها الحرّاقات (ج حرّاقة) وهي سفن كبرى مدعّمة بالمجانيق القاذفة لنيران النّفط. ومنها الطّرّادات (ج طرّادة) النّاقلة للخيول، والشلنديّات الصّالحة لحمل العتاد والجند وغيرها.

ولابن هانئ أوصاف بديعة للأسطول. وهي تعتبر من أروع أشعاره وأكثرها طرافةً لِقلّة اهتمام الشّعراء العرب قبله بوصف السّفن:

لَكَ البَرُّ والبَحْرُ العَظيمُ عُبَابُــــــهُ
فَسِيَّانِ أَغْمَارٌ تُخاضُ وَبيـــــــدُ(1)

أَمَا والجوَارِي المُنْشَآتِ التي ســـرَتْ
لَقَدْ ظَاهَرَتْها عُدَّةٌ وَعَديـــــــدُ(2)

قِبابٌ كما تُزْجى القِبابُ على المَهـــا
وَلَكِنَّ مَنْ ضَمَّتْ علَيْهِ أُســـودُ(3)

وَلِلَّهِ مِمَّا لاَ يَرَوْنَ كَتَائِـــــــبُ
مُسَوَّمَةٌ تَحْدُو بِها وجُنـــــــودُ(4)

أَطاع لَها أنَّ المَلائِكَ خَلْفَهـــــا
كَما وَقَفَتْ خَلْفَ الصُّفوفِ رُدودُ(5)

وَأَنَّ الرِّياحَ الذَّارِيِاتِ كَتائِـــــبُ
وأَنَّ النُّجوم الطَّالِعاتِ سُعـــودُ(6)

ومَا راعَ مَلْكَ الرّوم إلاَّ اطِّلاَعُهـــا
تُنَشَّـرُ أَعْلامٌ لها وَبُنـــــــودُ(7)

---

1) « لك ... » الخطابُ للمعزّ والأبيات مقتبسة من مطوّلة في مدحه.
2) الواو في « والجواري » واو القسم و« الجواري » مجرور به . وقوله « لقد الخ » جواب القسم — الجواري: مفرده جارية وهي صفة للسّفينة لأنها تجري في الماء — المُنشآت : المرفوعات القلوع . — العُدّة : ما أعدّ لحوادث الدّهر من المال والسّلاح — العديد : الكثير من الجنود .
3) زجاه وأزجاه : ساقه ومنه قوله تعالى « ربّكم الذي يزجي لكم الفلك » — المها : بقر الوحش شبّه به النّساء لجمال عيونهنّ . والقباب الأولى هي السّفن بأشرعتها .
4) مُسوّمة : مُعلّمة بعلامات — حدَا الإبل وبها : ساقها وغنّى لها . وفي المعنى إشارة إلى قوله تعالى « بلى إن تصبروا وتتّقوا ويأتوكم من فورهم هذا يُمْدِدْكم ربّكم بخمسة آلاف من الملائكة مسوّمين . »
5) الرّدود: مفرده ردّ وهو المعقل والكهف يردّ عنك البلاء وهنا إشارة إلى ما يحمي صفوف الجنود من الحديد وغيره .
6) الذّاريات : صفة للرّيح التي تذري التّراب أي تطيره .
7) البنود مفرده بَند وهو العلَم الكبير .

عَلَيْها غَمامٌ مُكْفَهِرٌّ صَبيـــرُهُ
لَهُ بارِقاتٌ جَمَّةٌ ورُعــــودُ(1)

مَواخِرُ في طامي العُبابِ كَأَنَّـــهُ
لِعَزْمِكَ بَأْسٌ أَوْ لِكَفِّكَ جُــودُ(2)

أَنافَتْ بِها أَعْلامُها وسَما لَهـــا
بِناءٌ عَلى غيرِ العَراءِ مَشيـــدُ(3)

مِنَ الرَّاسِياتِ الشُّمِّ لَوْلا انْتِقالُهـــا
فَمِنْها قِنانٌ شُمَّخٌ وَرُيُـــودُ(4)

مِنَ الطَّيْرِ إِلاَّ أَنَّهُنَّ جَـــوارِحٌ
فَلَيْسَ لَها إِلاَّ النُّفوسَ مَصيـــدُ

مِنَ القادِحاتِ النَّارَ تُضْرَمُ لِلطُّلَـــى
فَليسَ لها يَوْمَ اللِّقاءِ خُمــودُ(5)

اذ زَفَرَتْ غَيْظًا تَرامَتْ بِمـــارِجٍ
كَما شُبَّ مِنْ نارِ الجَحيمِ وَقــودُ(6)

فأَنْفاسُهُنَّ الحامِياتُ صَواعِـــقٌ
وأَفْواهُهُنَّ الزَّافِراتُ حَديـــدُ

---

1) الغمام المكفهرّ: أراد به الدّخان الأسود الخارج من المدافع ـ الصّبيرُ: السّحاب الأبيض الكثيف الذي يُصَبِّرُ بعضُه فوق بعض من صبرته إذا حبسته.

2) مَواخر مفرده ماخِرَةٌ: السّفينة التي تشق المياه من مخر يمخُرُ الماء: شَقّهُ.

3) أنافَ الشيء على غيره: ارتفع وأشرف. ـ العراء: الفضاء.

4) الرّاسياتُ: الجبال ـ القنّانُ مفرده قُنَّة بضمّ القاف: الجَبَل المنجرد المستطيل في السماء ولا يكون إلا أسود. ـ رُيُودٌ، مُفرده ريدٌ وهو حرف ناتىءٌ في عرض الجبل.

5) الطُّلَى، الواحدة طُلْيَة: العنق يعني أن نار السفن تُضرم لضرب أعناق الأعداء.

6) المارج: الشّعلة السّاطعة ذات اللّهب الشّديد.

تُشَبُّ لِآلِ الجَاثِليقِ سَعِيرُهـــــا

وَما هِيَ مِنْ آلِ الطَّرِيدِ بعيــــدُ(1)

لَها شُعَلٌ فَوْقَ الغِمارِ كَأَنَّهـــا

دِماءٌ تَلَقَّتْها ملاحِفُ سُـــودُ

وغَيْرُ المَذاكي نَجْرُها غَيْرَ أَنَّهـــا

مُسَوَّمَةٌ تَحْتَ الفَوارِسِ قـــودُ(2)

فَلَيْسَ لَها إلاَّ الرِّياحَ أَعِنَّـــةٌ

وَلَيْسَ لَها إلاَّ الحَبابَ كَديــــدُ(3)

رَحِيبةُ مَدِّ الباعِ وهيَ نتيجـــةٌ

بِغَيْرِ شَوًى عَذْراءُ وَهْيَ وَلـــودُ(4)

تَكَبَّرْنَ عن نَقْعٍ يُثارُ كَأَنَّهـــا

مَوالٍ وَجُرْدُ الصَّافِناتِ عَبيــــدُ(5)

لَهَا مِنْ شُفُوفِ العَبْقَرِيِّ مَلابِسٌ

مُفَوَّفَةٌ فيها النُّضارُ جَسِيــــدُ(6)

كَما اشْتَمَلَتْ فَوْقَ الأَرائِكِ خُـــرَّدٌ

أَوِ التَفَعَتْ فَوْقَ المنابِرِ صِيـــدُ(7)

---

1) آل الجاثليق : أراد بهم الرّوم ــ آل الطّريد : أراد بني أميّة .

2) المذاكي : الخيل ــ نجرها : أصلها ــ مُسوّمة : مُعْلَمَة بعلامات ــ قُود الواحدة قوداء وهي طويلة العنق .

3) الحبّاب : نُفّاخات الماء التي تعلو وهي الفقاقيع . الكديد : الأرض الغليظة .

4) الباع : قدر مدّ اليدين ، وأراد هنا المجاديف ــ نتيجة : مولودة ــ الشّوى : الأطراف كاليدين والرّجلين ــ ولود : أي تحمل الجيوش وتلدها .

5) « تكبّرن عن نقع يثار » أي ترفّعت عن إثارة الغبار في مجراها .

6) الشّفوف مفرده شَفّ بالفتح ويكسر : هو الثّوب الرّقيق من شفّ الثّوبُ عن المرأة شفوفا : رقّ وأبدى ما وراءهُ من خلقها . ــ العبقريّ : ضربٌ من البسط فاخر فيه أصباغ ونقوش. ــ مُفوّفة : مُوَشّاة مزركشة ــ النّضار: الذّهب الخالص ــ الجسيد : اللاّصق.

7) التفع الرجل بالثوب : اشتمل به وتغطّى. ــ صيدٌ مفردهُ أصيدٌ وهو الملك.

لَبُوسٌ تكُفُّ المَوْجَ وَهوَ غُطَـــامِطٌ
وتَدْرَأُ بَأسَ اليَمِّ وهو شَديـــــدُ(1)
فَمِنْها دُروعٌ فَوْقَها وَجَـــواشِنٌ
ومنها خَفاتِينٌ لها وَبُـــــرُودُ(2)

---

1) الغُطامط : البحر العظيم الأمواج ــ درأه : دفعه بشدّة .
2) الجواشن : مفرده جَوْشن وهو نوع من الدّروع فارسيّ الأصل . ــ الخَفاتين مفرده خفتان وهو نوع من الدّروع .

مظلّة المعِزّ (من الكامل)

وَصَفَ ابن تغري بردي في كتابه «النّجوم الزّاهرة» (ج 4 ص 84) مِظَلَّةَ الخلفاء الفاطميّين. وممّا قاله عنها: «فيها خطاطيف لِطاف وحِلَقٌ يُمسِكُ بعضُها بعضا تَنْضَمُّ وتنفتِح ورأسُها كالرّمّانة ويعلوه أيْضًا رُمّانةٌ صغيرة كُلُّها ذهب مُرَصَّعٌ بجوهرٍ». وتحتَلُّ مِظَلَّةُ المُعزّ بنقوشها وجواهرها مكانةً هامّة في المدائح التي خَصَّهُ بها شاعره الرسميّ ابن هاني كما في العينات التّالية:

هذا ابْنُ وَحْيِ اللهِ تَأْخُذُ هَدْيَهـــا
عَنْهُ المَلائكُ بُكْرَةً وأَصيـــلاَ

في مَوْسِمِ النَّحْرِ السَّنيعِ يَروقُنـــي
فَأَغُضُّ طَرْفاً عَنْ سَناهُ كَليـــلاَ(1)

والجَوُّ يَعْثُرُ بالأَسِنَّةِ والظُّبَـــى
والأَرْضُ وَاجِفَةٌ تَميلُ مَميـــلاَ(2)

والشَّمْسُ حاسِرَةُ القناع ووُدُّهـــا
لَوْ تَسْتَطيعُ لِتُرْبِه تَقْبيـــلاَ

وَعلى أميرِ المُؤْمنينَ غَمامَـــةٌ
نَشَأَتْ تُظَلِّلُ تاجَهُ تَظْليـــلاَ

نَهَضَتْ بِثِقْلِ الدُّرِّ ضُوعِفَ نَسْجُهـــا
فَجَرَتْ عليه عَسْجَداً مَحْلُـــولا

1) السَّنيعُ : الحسن الجميل.
2) واجِفَةٌ : مضطربة من وجف.

أَمُدِيرَها مِنْ حَيْثُ دَارَ لَشَدَّ مَـــــا
زَاحَمَتْ حَوْلَ رِكَابِه جِبْرِيـــــلاَ
ذَعَرَتْ مَواكِبُهُ الجِبالَ فَأَعْلَنَـــــتْ
هَضَبَاتُهَا التَّكْبِيرَ والتَّهْلِيـــــلاَ
قد ضمَّ قُطريْها العجاجُ فما تـــرى
بين السِّنان وكعبه تخليـــــلا(1)
رُفعَتْ له فيها قِبابٌ لم تكُـــــنْ
ظُعْناً بِأَجْرَاعِ الحِمَى وَحُمُـــولاَ
أَيْكِيَّةُ الذَّهَبِ المُرَصَّع رَفْرَفَـــتْ
فيها حَمامٌ ما دَعَوْنَ هَدِيـــلاَ(2)
وتُباشِرُ الفَلَكَ الأَثِيرَ كَأَنَّمَـــا
تَبْغِي بِهِنَّ إلى السَّماء رَحِيـــلا(3)

---

1) التّخليل : الفرجة .
2) «أيكيّة الذّهب ...» : أراد أنّ فيها نقوشا بالذّهب تمثّل الأيك والحمام ولكنّها ليست بالحمامة المعروفة التي تدعو هديلا وهو ذكرها .
3) الفلك الأثير : الفلك التّاسع .

روضة تحت المطر (من البسيط)

كثيراً ما يستهلُّ ابنُ هانئ «معزّياته» ومدائحه الأخرى بوصف الطّبيعة فتكون الفواتح - إذا أخذت على حدَةٍ - نماذج من فنّ الرّوضيّة الذي اكتمل خصوصاً في الأندلس في القرن الخامس الهجريّ مع ابن خفاجة :

أَلُؤْلُؤٌ دَمْعُ هذا الغَيْثِ أَمْ نُقَطُ
مَا كَانَ أَحْسَنَهُ لَوْ كَانَ يُلْتَقَطُ

بيْنَ السَّحابِ وبَيْنَ الرِّيحِ مَلْحَمَةٌ
قَعَاقِعٌ وظُبًى في الجَوِّ تُخْتَرَطُ(1)

كَأَنَّهُ سَاخِطٌ يَرْضَى على عَجَلٍ
فَما يَدومُ رِضًى منْهُ ولاَ سَخَطُ(2)

أَهدى الربيع الينا روضة أُنُفا
كما تَنفَّس منْ كافوره السَّفَطُ

غَمَائمٌ في نَواحي الجَوِّ عاكفَةٌ
جَعْدٌ تَحَدَّرَ منها وابِلٌ سَبِطُ(3)

كَأَنَّ تَهْتانَها في كُلِّ نَاحيَةٍ
مَدٌّ منَ البحرِ يَعْلو ثُمَّ يَنْهَبِطُ(4)

---

1) الملحمة: الوقعة العظمة - القعاقع: حكاية صوت السّلاح والرّعد وغيرهما - الظّبى، مفرده ظُبة : حدّ السّيف أو الرّمح . - تخترط: تسلّ.

2) روضة أُنف: لم ترعها الدواب - السَّفط: وعاء كالقفة، وما يُعبأ فيه الطيب .

3) الجَعد: الكثيف المتراكم من السّحاب كأنه الشّعر المجعّد في تقبّضه والتوائه - السّبط: السّهل المسترسل من الشعر، والمطر الغزير ، وفي البيت طباق .

4) التّهتان: انصباب المطر .

وَالبَرْقُ يَظْهَرُ فِي لَأْلاءِ غُرَّتـــــــــه
قاضٍ من المُزْنِ فِي أَحْكَامه شَطَـــطُ
وَلِلجَدِيدَينِ مِنْ طولٍ وَمِنْ قِصَـــــرٍ
حَبْلانِ مُنْقَبِضٌ عَنَّا وَمُنْبَسِـــــطُ(1)
والأَرْضُ تَبْسُطُ فِي خَدِّ الثَّرَى وَرَقــــاً
كما تُنَشَّرُ فِي حافاتها البُسُـــــطُ
والرِّيحُ تَبْعَثُ أَنْفاساً مُعَطَّـــــرَةً
مِثْلَ العَبيرِ بِماء الوَرْد يَخْتَلِــــطُ
كَأَنَّمَا هِيَ أَنْفاسُ المُعِزّ سَـــــرَتْ
لاَ شُبْهَةٌ للنَّدَى فيها ولا غَلَـــــطُ

---

1) الجديدان : الليل والنهار

كلّ فكّ منه طاحون

يقومُ التّصوير الماسخُ ـ وهو فنّ الكاريكاتور ـ على استغلال العيوب الخَلْقية وتهويلِ أشكالها المنحرفة لإثارة الضّحك. وحَدُّ الضّحك ـ على حَدِّ قولِ الفيْلسوف الفرنسيّ «بركسون» : «أنْ يُجَفّفَ الكائنُ الحيُّ (الإنسان) ويُحنّط ويحوّل في الصّورة الفنيّة إلى أشكال مُتَحَرِّكة آليَة» ينقلب بها الانسان دُمية متحركة» وابن هاني لا يقلُّ بَرَاعَةً في التّصوير المَاسِخ عن الجاحظ وابنِ الرّومي رَغْمَ أنّهما تَبَسّطا في هذا الفنّ في حين لَمْ يُمَثّلْهُ الشّاعرُ المغربيّ إلاّ بالمقطوعة التّالية التي قالها في رَجُلٍ أكولٍ من مدينة رقّادة قرب القيروان :

انظر إليه وفي التّحريك تسكيـــــــنُ
كَأنّمَا التقَمَتْ عَنْهُ التّنانيـــــــنُ(1)

يا لَيْتَ شعْرِي إذا أُومِي إلى فَمِـــــه
أحَلْقُهُ لَهَوَاتٌ أم مَياديـــــــنُ(2)

كَأنّهَا وَخَبِيثُ الزّاد يُضْرِمُهـــــا
جَهَنّمٌ قُذِفَتْ فيها الشّياطيـــــنُ

تَبـارَكَ اللهُ مـا أمْضَى أسنّتَـــــهُ
كَأنّمَا كُلُّ فَكٍّ مِنْهُ طَاحـــــونُ

1) التنانين مفرده التنّين وهو الحوت . وتطلق أيضا على الحيّة العظيمة .
2) أومي، مُسَهّلٌ عن أومىءُ وأوْمأ إلى الشّيء : أشار إليه ـ اللّهوات ، الواحدة لهاة : اللّحمة المشرفة على الحلق في أقصى سقف الفم (la glotte) وأراد هنا الحلوق من باب استعمال الجزء للكلّ .

كَأَنَّ بَيْتَ سلاحٍ فيه مُخْتَـــــزَنُ
مِمَّا أَعَدَّتْهُ للرُّسْلِ الفَرَاعيــــــنُ

أَيْنَ الأَسِنَّةُ أَمْ أَينَ الصَّـــوارِمُ أَمْ
أَيْنَ الخَنَاجِرُ أَمْ أَيْنَ السكاكيـــنُ

كَأَنَّما الحَمَلُ المَشْوِيُّ في يَـــده
ذو النُّونِ في الماء لَمَّا عَضَّهُ النُّونُ(3)

لَفَّ الجِدَاءَ بأَيْدِيها وأَرْجُلِهـــــا
كَأَنَّمَا افْتَرَسَتْهُنَّ السَّراحيــــــن(1)

وغَادَرَ البَطَّ من مَثْنَى ووَاحـــــدَة
كَأَنَّمَا اخْتَطَفَتْهُنَّ الشَّواهيـــــنُ(2)

يُخَفِّضُ الوَزَّ منْ قَرْنٍ إلى قَـــدَمٍ
وَلِلبَلاَعِيمِ تَطْرِيبٌ وَتَلْحيـــــنُ(3)

كَأَنَّ في فَكِّه أَيْتامَ أَرْمَلَـــــة
أَوْ باكياتٍ عليْهِنَّ التَّبابيـــــنُ(4)

كَأَنَّمَا يَنْتَقِي العَظْمَ الصَّليبَ لَـــهُ
مِنْ تَحْتِ كُلِّ رَحًى فِهْرٌ وهـــاوونُ(5)

---

1) ذو النّون: نبيّ ذكره القرآن وذكرته التّوراة أنه طرح في البحر وابتلعه النون أي الحوت وقذفه إلى البرّ بعد ثلاثة أيّام.

2) الجِداء مفرده الجدي وهو ولد المعزّ في سنته الأولى ـ السّراحين مفرده السّرحان وهو الذّئب.

3) الشّواهين: مفرده شاهين: كواسي الطير.

4) البلاعيم الواحد بلعوم: مجرى الطّعام في الحلق.

5) التّبابين، الواحد تبّان: سراويل صغيرة يلبسها الملاّحون والمصارعون.

6) الفهر: الحجر ملء الكفّ يكسّر به الجوز ـ الهاوُن والهاوُون ج هوَاوين: ما يُدَقّ فيه الدّواء ونحوه (فارسيّة).

كَأنَّمَا كُلُّ رُكْنٍ مِنْ طَبَائِعِـــــه
نارٌ وَفي كُلِّ عِضْوٍ منْهُ كانـــونُ

كَأنَّمَا في الحَشَا منْ خَمْلِ مِعْدَتـِــه
قَرَنْفُلٌ وجَوارِيشُ وكَمُّـــــونُ(1)

قُوموا بِنا فَلَقَدْ رِيعَتْ خَواطِرُنَـــا
وجَاذَبَتْنَا الأَعِنَّاتُ البَراذيـــنُ(2)

نَصَحْتُكُمْ فَخُذُوا منْ شدْقه وَزَراً
أوْلاَ فَأنْتُم سَوِيقٌ فيه مَطْحـونُ(3)

فَلَيْسَ تُرْوِيه أَمْواهُ الفُـــرات وَلا
يَقُوتُهُ فُلْكُ نُوحٍ وهو مَشْحـــونُ

فَمِثْلُ رَقَّادَةٍ في كَفِّه وَسَـــطٌ
وَنَحْنُ مَقْدُونُسٌ فيه وَطَرْخُـونُ(4)

---

1) خَمْلُ المَعدة : خشونتها التي تمسك الطّعام إلى أن ينهضم ـ الجواريش الواحد جاروش وجاروشة : رحى اليد يجرش بها.
2) البَراذين مفرده البرذون : التّركيّ من الخيل.
3) الوَزَرُ : الملجأ ، الجبل المنيع.
4) المقدونس : هو البقدنوس ـ المعدنوس ـ الطّرخون : نبات يكبس بالماء والملح واللّبن.

في اللّهو

مجلس لهـو (من الخفيف)

قالَ يَصفُ لَهْوَهُ في مَاضِي أَيَّامه تَمهيداً لِمَدْح المعزّ :

رُبَّ يَوْمٍ رَقيقِ حَوَاشِي اللَّـــــــــ
هـــوِ حُسْناً جَوَّالِ عِقْدِ النِّطـــاقِ(1)

قَدْ لَبِسْنَاهُ وهو منْ نَفحَاتِ المِسْـــك
رَدْعُ الجُيوبِ رَدْعُ التَّرَاقـــــــي(2)

والأَباريقُ كَالظِّباء العَوَاطـــــــي
أَوْجَسَتْ نَبْأَةَ الجياد العِتـــاقِ(3)

مُصْغِياتٌ إلى الغناء مُطِـــلاَّ
تٌ عَليه كَثيرَةُ الإطْـــــــرَاقِ

وَهْيَ شُمُّ الأُنُوفِ يَشْمَخْنَ كِبْــــراً
ثُمَّ يَرْعُفْنَ بالدَّم المُهْــــرَاقِ(4)

فَدَّمَتْها السُّقَاةُ كَيْ يُوقِرُوهَـــــا
صَمَماً عَنْ سَماع شادٍ وَسَـــاقِ(5)

فهِيَ إمَّا يَشْكُونَ ثِقْلاً من الوَقْـــرِ
وإمَّا يَبْكِينَ بالآمَـــــــاقِ(6)

---

1) الجوّال : الكثير الجولان . وقوله : «عقد النّطاق» أراد به النّطاق المعقود وجولان النّطاق كناية عن دقّة الخصر. واستعار ذلك لوصف نهار اللّهو به يستحسن .

2) الجيوب، واحدها جيب : طوق القميص ـ التّراقي ، الواحدة تَرْقُوَة وهو مقدّم الحلق في أعلى الصّدر . وفي البيت استعار اللّبس لليوم لأنه جامعُ الشّمْل بنفحات المسك .

3) العواطي، الواحدة عاطيَة وهي الطّويلة العنق . ـ أوْجَسَت: سَمعَت صوتا ـ النّبْأةُ : الصّوت الخفيّ .

4) المُهرَاق : اسم المفعول من هرَاقَ يُهَريقُ بمعنى أراق .

5) فدّمتْها : جعلت على فمها الفدام : المصفاة الصّغيرة أو خرقة تجعل على فم الإبريق ـ يُوقروها صمَما : يثقلوها بالصّمم .

6) الآماق واحدها مُؤق ومَأق : أطراف العيون .

جَنَّبوها مَجالسَ اللَّهْوِ والوَصْـــــــ
لِ إذا مَا خَلَوْنَ للعُشَّـــــــــاقِ
فَهْيَ أَذْهَى منَ الوُشاة على مَكْنُـــو
نِ سرِّ المُتَيَّم المُشْتَـــــــــاقِ
تَرْتَدي بِالأَكْمَام عَنْها حَيـــــاءً
وهيَ غيدٌ يَتْلَعْنَ بالأَعْنـــــــاقِ
لاَ تَسَلْني عَنِ اللَّيالي الخَوالـــــي
وَأَجِرْني منَ اللَّيالي البَوَاقـــــــي
ضَرَبَتْ بَيْننا بِأَبْعَدَ ممَّـــــــا
بَيْنَ رَاجِي المُعزِّ والإِمْــــــلاقِ(1)

---

1) الإملاق : الافتقار .

الغزل

خفضي وقع السّهام (من الكامل)

قال يشكو الزّمان وسَطْوَ الحبيبة في مَطلع قصيدة مدح بها المعزّ :

قَامَتْ تَميسُ كَما تَدافَعَ جَــدْوَلُ
وَانساب أَيْمٌ في نَقاً يَتَهَيَّـــلُ(1)

وَأَتَتْ تُزَجِّي رِدْفَها بِقَوامِهــا
فتأطَّرَ الأَعْلى وماجَ الأَسْفَـــلُ(2)

صَنَمٌ تَرَدَّى الحُسْنَ منهُ مُقَرْطَــقٌ
وَمَشَى عَلى البَرْديِّ منْهُ مُخَلْخَــلُ(3)

وَوراءَ ما يَحْوِي اللِّثامُ مُقَبَّـــلُ
رَتِلٌ بِمسْوَاكِ الأَراكِ مُقَبَّـــلُ(4)

مالي ظَمئْتُ إلى جَنَى رَشَفاتــه
وخَلا البَشامُ بِبَرْدها والإِسْحِـلُ(5)

وهيَ البَخيلةُ أَوْ خَيالٌ طَـارِقٌ
منها أو الذّكرى التي تَتَخَيَّــلُ

---

1) تميس: تميل — الأيْمُ : الحيّة — النّقا : القطعة من الرّمل — يتهيّل : ينصبّ .
2) تُزجي : تسوق — تأطّر : تَثَنّي . وأراد بالأعلى : القوام ، وبالأسفل : الرّدف .
3) تَرَدّى: لبس — المُقرطق : أراد أعلى الصّدر حيث يلبس القُرطق — البَرْدِيّ: نبات مائي .
4) المُقَبّل الأوّل : موضع التّقبيل — والتّقبيل الثّاني : من التّقبيل — رَتِلٌ : مُنظّم
5) البشام والإسحل : نوعان من الشجر تصنع منهما المساويك .

طَرَقَتْ تَحيدُ عنِ الصَّباحِ تَخَفُّــــراً
فَوشَى الكِباءُ بِها وَنَمَّ المَنْـــــدَلُ(1)

قُلْ للَّتي أَصْمَتْ فُؤَادي خَفِّضـــــي
وَقْعَ السِّهامِ فقد أُصيبَ المَقْتَـــــلُ

وَذَهَبْتِ عَنِّي بالشَّبيبة فَـــــارْدُدي
ثَوْبِي الذي قد كُنتُ فيه أرْفُـــــلُ

جارَتْ كما جارَ الزَّمانُ وَرَيْبُـــــهُ
وكِلاهما في صَرْفه لاَ يَعْــــدِلُ

أَهْوِنْ علينا بالخُطوبِ وَصَرْفِهـــــا
فالدَّهْرُ يُدْبِرُ بالخُطوبِ وَيُقْبِــــلُ

مالي ومَا للحادثاتِ تَنُوشُنـــــي
وَلَدَيَّ من هَمِّي وَعَزْمي مَوْئِـــلُ

كَفٌّ غداةَ النَّائباتِ طَويلَــــةٌ
وَأَغَرُّ يومَ السَّابقينَ مُحَجَّـــــلُ

سَأُميطُ عَنْ وَجْهي اللِّثامَ وأعْتَــــزي
وَأرِي الحوادِثَ صَفْحَةً لاَ تُجْهَــلُ(2)

وَلأَسْطُوَنَّ عَلَى الزَّمَانِ بِمَنْ لَـــــهُ
قَلْبي الوَدودُ وَمَدْحيَ المُتَنَخَّـــلُ(3)

---

1) الكباء : البخور – المَندَل : عود طيِّب الرّائحة يتبخَّر به ، يعني أنّ الكباء والمَندَلَ اللّذين تطيَّبت بهما فضحا زيارتها برائحتها.
2) أعتزي : أي أنتسب إلى المعزّ.
3) هذا بيت الانتقال وفيه إشارة إلى ممدوحه المعزّ .

مُغامرة غراميّة

قال يصفُ سُراهُ إلى الحسّان. هذا النّسيب في مطلع قصيدة مَدَحَ بها المُعزّ:

أَرَيّاكِ أَمْ رَدْعٌ منَ المِسْكِ صَائِــــكُ
وَلَحْظُكِ أَمْ حَدٌّ منَ السَّيْفِ بَاتِــكُ(1)

وَأَعْطافُ نَشْوَى أَمْ قَوامٌ مُهَفْهَـــفُ
تَأَوَّدَ غُصْنٌ فيه وارْتَجَّ عانِــــكُ(2)

ومَا شَقَّ جَيْبَ الحُسْنِ إلاَّ شَقَائِــــقٌ
بِخَدَّيْكِ مَفْتُوكٌ بِهِنَّ فَوَاتِــــكُ(3)

أرَى بَيْنَها للعَاشقينَ مَصَارِعـــــاً
فَقَدْ ضَرَّجَتْهُنَّ الدِّماءُ السَّوافِـــكُ

أَلَمْ يُبْدِ سِرَّ الحُبِّ أَنَّ منَ الضَّنَــى
رَقيباً وإِنْ لَمْ يَهْتِكِ السِّتْرَ هاتِـــكُ

وَلَيْلٍ عَلَيْه رَقْمُ وَشْيٍ كَأَنَّمــــا
تُمَدُّ عليه بالنُّجوم الدَّرانِـــكُ(4)

---

1) الرَّدْعُ: أثر الطيّب في الجسد ـ الصّائك: اللاّصق من صالكَ يَصوكُ ـ الباتك: القـاطـع.

2) تأوّد: تثنّى ـ العانك: القطعة من الرّمل، استعاره للرّدف.

3) (المعنى): إنّ الأبطال الفواتك تفتك بهم شقـائق خدّيك.

4) «رقم الوشي»: أراد به النّجوم التي تزين السّماء ـ الدّرانك، الواحد دُرْنوك: نوع من البسط أو الثّياب له خَمَلٌ.

سَرَيْنا فَطُفْنا بالحِجالِ وأهْلِهَـــــا

كما طافَ بِالبَيْتِ المُحَجَّبِ ناسِـــكُ(1)

وَكُنَّا إذا ما أَعْيُنُ العينِ رُقْنَنَـــا

أَدَرْنَ عُيوناً حَشْوُهُنَّ المَهالِـــكُ

فَتَكْنَا بِمُحْمَرِّ الخُدود وإنَّهـــا

بما اصْفَرَّ منْ أَلْوانِنا لَفَوَاتِـــكُ

تَكونُ لنا عنْدَ اللِّقاء مَوَاقِـــفٌ

ولَكِنَّها فَوْقَ الحَشايا مَعَـــارِكُ

نُنَازِلُ منْ دونِ النُّحورِ أَسِنَّـــةً

إذا انْتَصَبَتْ فيها الثُّدِيُّ الفَـوالِكُ(2)

نَشَاوَى قُدُودٍ لا الخُدودُ أَسِنَّـــةٌ

وَلاَ طُرَرٌ منْ فَوْقِهِنَّ حَوَالِـــكُ(3)

سَرَيْنَ وَقَدْ شَقَّ الدُّجى عَنْ صَباحِـــه

كَوَاكِبَ عيسٍ بالشُّموسِ رَواتِـــكُ(4)

وَكَائِنْ لها فَوْقَ الصَّعيد مَناسِـــمٌ

يَطَأْنَ وفي سرِّ الضَّميرِ مَبَـــارِكُ(5)

أَقيموا صُدورَ النَّاعجَاتِ فإنَّهـــا

سَبيلَ الهَوى بَيْنَ الضُّلوع سَـوالِكُ(6)

---

1) الحِجالُ ، الواحدة حَجَلَةٌ : بَيْتٌ يُزَيَّنُ للعَروس. ربَّات الحجال: هنَّ النساء.
2) الفـوالك ، الواحدة فالكٌ من فَلَكَتِ الجارية : استدار نهدُها .
3) الطُرَرُ ، الواحدة طُرَّةٌ وهي الجَبْهَـةُ .
4) الرَّواتكُ ، الواحد راتكٌ ، من رَتَكَ البَعيرُ : عَدَا مُتَقَارِبَ الخطْو .
5) الصَّعيدُ : هنـا التّراب وقد يطلق على الأرض المرتفعة ـ المناسم ، الواحد منسم وهو خفّ البعير ـ « سرّ الضمير » : أراد به القلوب .
6) النّاعجات : الخفاف المسرعات من الإبل .

أَلَمْ تَرَيَا الرَّوْضَ الأَرِيضَ كَأَنَّمـــا
أَسِرَّةُ نورِ الشَّمْسِ فيها سبـــائكُ(1)

كَأَنَّ كُؤوساً فيه تَسْرِي بِراحِهـــا
إذا عَلَّلَتْها السَّارياتُ الحواشـــكُ(2)

كَأَنَّ الشَّقيقَ الغَضَّ يُكْحَلُ أَعْيُنـــاً
ويَسْفِكُ في لَبَّاته الدَّمَ ســـافكُ

وما تُطْلِعُ الدُّنْيا شُمُوساً تُرِيكَهـــا
ولا للرِّياضِ الزُّهْرِ أَيْدٍ حَوَائـــكُ

ولَكِنَّما ضَاحَكْنَنَا عَنْ مَحَـــاسنٍ
جَلَتْهُنَّ أَيَّامُ المُعِزِّ الضَّواحـــكُ

---

1) الأرِيضُ : صفة للرَّوض الذي كَثُر عشبُهُ وازدهى وحسن.من أَرَضَ يَأْرُضُ أرْضاً . ــ السَّبَائك ، الواحدة سبيكة : القطعة المذوَّبة المُفرَغة في القالب من الذَّهب أو من الفضَّة .

2) عَلَّلَتْهَا: سَقَتْهَا . ــ السَّاريات : السَّحب السَّاريةُ لَيْلاً . ــ الحَوَاشكُ ، الواحدة حاشكة وحَشْكَةٌ وهي السَّحُبُ الكثيرة الماء من حَشَكَ يَحْشُكُ حَشْكاً السَّحابة : كَثُرَ ماؤها .



نازعتم حق الوصيّ

الهجاءُ التّقليدي يتعداد مَثالب المهجوّ وعُيوبه الخَلْقيّة والخُلُقيّة يكاد يكون مفقودا في ديوان ابن هاني المشتمل على قصيدة في هجاء الكاتب الوهرانيّ وعلى مقطوعة في التّعريض بشخص أعاره ديوان المتنبي ثمّ ألحف في استرجاعه. بيد أن مدائح ابن هاني تخلّلتها مقاطع في الهجاء المذهبيّ ذي الطّابع الجدلي ردّ بها على خصوم الفواطم ونافح فيها عن إمامه المعزّ وعن عقيدته الإسماعيليّة كما في العينات التّالية التي تَكْشف عن مَوْقفه من أهَمِّ مَسْألَةٍ خلافيّة بين الشّيعة والمذاهب الأُخرى أعني الخلافة :

أبَني لُؤَيٍّ أيْنَ فَضْلُ قَديمكُـــــم
بَلْ أيْنَ حِلْمٌ كالجِبالِ رَصيـــنُ(1)

نَازَعْتُمُ حَقَّ الوَصيِّ وَدونَـــــهُ
حَرَمٌ وَحِجْرٌ مانعٌ وحَجـــــونُ(2)

نَاضَلْتُموهُ على الخلافة بالّتـــي
رُدَّتْ وفيكُم حَدُّها المَسْنـــونُ

حَرَّفْتُموها عَنْ أبي السِّبْطَيْنِ عَـــنْ
زَمَعٍ وليس من الهِجانِ هَجيـــنُ(3)

لَوْ تَتَّقون الله لم يَطْمَحْ لَهـــا
طَرْفٌ وَلَمْ يَشْمَخْ لَها عِرْنيـــنُ

---

1) بنو لُؤَيّ : القرشيّون ويعني بني العبّاس خصوم الفواطم في الخلافة .

2) الوَصيّ : يعني عليّاً بن أبي طالب . يزعم الشيعة أنّ النبيّ أوصى له بالخلافة من بعده بنصّ وكذلك لبقيّة الأيمّة في سلالة فاطمة .

3) أبو السّبطين : علي، والسبطان هما الحسن والحسين . ــ عن زَمَع : عن مضاء في الأمر وعزم عليـــه .

لَكنكُمْ كُنْتُمْ كأهْلِ العجْلِ لَـــــمْ
يُحْفَظْ لموسى فيهمُ هَـــــرُونُ[1]

لَوْ تَسْألونَ القَبْرَ يومَ فَرِحْتُـــــمْ
لَأَجَابَ أنَّ مُحَمَّداً مَحْـــــزونُ

مَاذا تُريدُ منَ الكِتابِ نَواصِـــــبٌ
وَلَهُ ظُهورٌ دُونَها وَبُطُـــــونُ[2]

هيَ بُغْيَةٌ أَضَلَلْتُموها فارْجِعُــــوا
في آلِ ياسِينٍ ثَوَتْ ياسيـــــنُ

رُدُّوا عليهم حُكْمَهُمْ فعليهـــــمُ
نَزَلَ البيانُ وفيهمُ التَّبْييــــنُ

البَيْتُ بيتُ اللهِ وهو مُعَظَّـــــمُ
والنُّورُ نورُ اللهِ وهو مُبيـــــنُ

والسِّتْرُ سِتْرُ الغَيْبِ وَهْوَ مُحَجَّــبٌ
والسِّرُّ سِرُّ الوَحْيِ وهوَ مَصُـــونُ

---

1) أهل العجْل : الإسْرائيليّون .

2) «ظهور وبطون» يعني بهما علم الظاهر وعلم الباطن عند الشيعة. وقد ميّزُوا بين الظّاهرِ (أي الشريعة) والباطن (وهو التّأويل) في معرفة الحقيقة الدينية فقالوا : إنّ الشّريعة هي ظاهر الحقيقة وإنّ الحقيقة هي باطن الشريعة . وقالوا إنّ الإمام هو الذي يعرف الحقيقة ويلقّنُها لأتباعه ولذا سُمّوا التعليميّة كما سمّوا الباطنيّة . وفي الأبيات كلمات مرادفة للباطن مثل السرّ والسّتْرِ .

أيامُ دَهرِنا سخفات (من الخفيف)

قال ابن هاني يفتخر بنفسه، ويملي الحِكَم، ويهجو الوهراني (كاتب الأمير جعفر بن علي بن حَمدون في المسيلة بالزّاب الجزائريّ) ويتّهمه بمعاداة الإمام والمذهب الإسماعيليّ وبتحريف القرآن بعد أن منعه من مقابلة الأمير:

طَلَبُ المَجْدِ مِنْ طَرِيقِ السُّيُـوف
شَرَفٌ مُؤْنِسٌ لِنَفْسِ الشَّرِيـفِ

إنَّ ذُلَّ العَزِيزِ أَفْظَعُ مَـرْأى
بَيْنَ عَيْنَيْهِ مِن لِقَـاءِ الحُتُـوف

أنا مِنْ صَارِمٍ وَطِرْفٍ جَـوَادٍ
لَسْتُ مِنْ قُبَّةٍ وَقَصْرٍ مُنيـفِ(1)

لَيْسَ للمَجْد مَنْ يَبِيتُ على المَجْـ
ـدِ بِسَعْيٍ وانٍ وَنَفْسٍ عَـزوفِ(2)

عَلَّمَتْني البيداءُ كَيْفَ رُكُوبُ اللَّيْـلِ
واللَّيْلُ كيفَ قَطْعُ التَّنـوفِ(3)

إنَّ أيّامَ دَهْرِنَا سَخِفَـاتٌ
فَهْيَ أعْوَانُ كُلِّ وَغْدٍ سَخيـفِ(4)

1) الطِّرْفُ: الكريم الطَّرفَيْن الأب والأمّ من الخيل.
2) الواني: الضعيف ــ العزوف: الزّاهد.
3) ركوب اللَّيْل: مقاساة شدائده وأهواله ــ التَّنُوف: البريّة لا ماء فيها.
4) سَخفات: رقيقة العقل، ناقصته ــ الوغد: الرّذل الدّنيء.

زَمَنٌ أَنْتَ يا أبا الجَعْرِ فيـــــــــه
لَيْسَ منْ تالدٍ ولا منْ طَرِيـــــفِ(1)
إنَّ دَهْراً سَمَوْتَ فيه علُـــــــــوّاً
لَوَضيعُ الخُطوبِ وَغْدُ الصُّـــروفِ
إنَّ رَأياً تُديرُهُ لَمُعَنَّــــــــــى
بِضَلالِ الإمْضاء والتَّوْقيـــــــفِ(2)
إنَّ لَفْظاً تَلوكُهُ لَشَبِيـــــــــهٌ
بِكَ في مَنْظَرِ الجَفاء الجَليـــفِ(3)

---

1) يا أبا الجَعْر : والجَعْرُ : ما خرج من البطن من ريح وغائط.
2) المُعَنَّى : المُكَلَّف بما يشقّ عليه .
3) الجليف : الجـــافي .

الرِّثَـــاء

الدّهر المَخُوفُ

من بديع الرِّثاء عند ابن هاني في نظر النُّقَّاد ما جاء في مَرثيَّةٍ أَبَّنَ بها والدة جعفر ويَحْيَى ابْنَيْ عليّ بن حَمدون واستهلَّها بذمِّ الزَّمان وبتصوير مأساة النَّفس البشرية المواجِهة للموت :

إنَّا وَفي آمال أَنْفُسنـــــــــا
طولٌ وَفي أَعْمارِنَا قِصَـــــــرُ
لَنَرَى بِأعْيُننَا مَصارِعَنَـــــــا
لَوْ كانَتِ الأَلْبابُ تَعْتَبِـــــــرُ
ممَّا دَهانا أَنَّ حَاضِرَنــــــــا
أَجْفانُنا والغائبَ الفكَـــــــرُ
فإذا تَدَبَّرْنا جَوَارِحَنَـــــــا
فَأَكَلُّهُنَّ العَيْنُ والنَّظَـــــــرُ(1)
لَوْ كَانَ للأَلْبابِ مُمْتَحِـــــنٌ
ما عُدَّ منْها السَّمْعُ والبَصَـــــرُ
أَيُّ الحياة أَلَذُّ عيشَتَهَـــــــا
منْ بَعْد علْمي أَنَّني بَشَـــــرُ؟
خَرِسَتْ لَعَمْرُ الله أَلْسُنُنـــــــا
لَمَّا تَكَلَّمَ فَوْقَنا القَــــــدَرُ

---

1) الجوارحُ ، الواحدة جارحة : العضو في الإنسان ولا سيما اليد ــ الأكلُّ : الأضْعَفُ .

هَلْ يَنْفَعَنّي عِزُّ ذي يَمَــــــــنٍ
وحُجُولُهُ واليُمْنُ والغُـــــــــرَرُ(1)

وَمَقَالِيَ المَحْمولُ شَـــــــــارِدُهُ
وَلِسَانِيَ الصَّمْصَامَةُ الذَّكَـــــــرُ(2)

هَا إنّها كَأْسٌ بَشِعْتُ بِهــــــــــا
لاَ مَلْجَأَ منهــــــــا وَلاَ وَزَرُ(3)

أَفَنَتْرُكُ الأَيَّامَ تَفْعَلُ مَـــــــــــا
شاءَتْ ولا نَسْطو فَنَنْتَصِـــــــرُ

هَلاَّ بَأيدنا أَسنَّتُنـــــــــــــــا
في حينِ نُقْدِمُها فَتَشْتَجِـــــــرُ(4)

فَانْبِذْ وَشيجاً وَارمْ ذا شُطَـــــــبٍ
لاَ البِيضُ نَافِعَةٌ وَلاَ السُّمُــــــرُ(5)

دُنْيا تُجَمِّعُنا وَأَنْفُسُنـــــــــــا
شَذَرٌ على أحكامها مَـــــــــذَرُ(6)

لَوْ لَمْ تُرِبْنا نابُ حَادثِهـــــــــا
إنّا نراها كيف تَأْتَمِـــــــــرُ(7)

---

1) الحُجُولُ ، الواحدُ حجْل : البياض في قوائم الفرس ــ الغُرر ، الواحدة غُرّة : البياض في جبهة الفرس وربّما أراد بحجوله وغرره أيّامه المشهورة في عزّ ذي يمَنٍ في بلاط بني حمدون وهم من أصل يمنيّ .
2) الشّارِدُ : السّائرُ بين النّاس ــ الصّمْصامة : السّيف لا ينثني .
3) بَشِعْتُ بها : كرهتها وضقت بها ــ الوَزَرُ : الملجأ .
4) اشتجرت الرّماح : تداخل بعضها في بعض .
5) الوشيج : الرّماح ــ ذو شطب : السّيف من شَطَبَ يشطُب : قَطَعَ وشقّ .
6) شَذَرٌ مَذَرٌ : مُتفرّقـــة .
7) أرَابَ يُريب : أقلق وأزعج ــ النّابَ : السنّ ــ تأتمر ، من الائتمار المشاورة والامتثـــال .

مَا الدَّهْرُ إلاَّ ما تُحَـــــــاذِرُهُ
هَفَواتُهُ وَهَناتُهُ الكُبَـــــــرُ(1)

واللَّيْثُ لُبْدَتُهُ وسَاعِـــــــدُهُ
وَدَرِيَّتاهُ النَّابُ والظُّفَـــــــرُ(2)

في كُلِّ يَوْم تَحْتَ كَلْكَلِـــــــهِ
تِرَةٌ جُبارٌ أوْ دَمٌ هَـــــــدَرُ(3)

وَهْوَ المَخوفُ بَناتُ سَطْوَتِـــــــهِ
لَوْ كانَ يَعْفو حينَ يَقْتَـــــــدِرُ(4)

---

1) الهفوات ، الواحدة هفوة : الزَّلَّة . ـ الهَنَاتُ ، الواحدة هَنَة: الأمور المؤذية.
2) دَرِيَّتاه ، مُسهَّل دريئتاه ، والدَّريئة : ما يستتر به الصَّائد ليخدع الصَّيد .
3) الكَلْكَل: الصَّدر ـ التِّرَة: الثَّأر ـ الجُبار: الهَدَرُ يقالُ ، ذهب دمُه جُبَاراً أو هدَرًا أي لم يؤخذ بثأره .
4) بنات سطوته : شدائده .

خابَ مَنْ يرجو زماناً دائماً (من الرمل)

قال يرثي ولداً لإبراهيم بن جعفر بن علي بن حمدون وَيذُمُّ الزّمان:

وَهَبَ الدَّهْرُ نفيساً فاسْتَـــــــرَدْ
رُبَّما جَادَ لئيمٌ فحَسَـــــــبَدْ

خابَ مَنْ يَرْجو زماناً دائِمـــــا
تُعْرَفُ البأساءُ مِنْهُ والنَّكَـــــدْ

فإذا ما كدَّرَ العَيْشَ نمـــــا
وَإذا ما طيَّبَ الزَّادَ نفِـــــدْ

فلقدْ ذكَّرَ مَنْ كان سَهـــــا
ولقد نبَّه مَنْ كان رَقَـــــدْ.

قُلْ لِمَنْ شاءَ يَقُلْ ما شــــاءَهُ
إنَّ خصْمِي فِي حياتي لألَـــدْ

مُنْتضٍ نصْلاً إذا شاءَ مَضـــى
رَائِشٌ سهْماً إذا شاء قصَـــدْ(1)

كُلَّ يَوْمٍ لِيَ فيهِ مَضْـــرَعٌ
مِنْ سَمَاءٍ أو طِرَافٍ أوْ عُمُـــدْ(2)

---

1) منتضٍ، من انتضى السَّيف: سلَّه ــ رائش، من راش السَّهم: ألصق عليه الرِّيـــش.

2) السَّمَاء: هنا السَّقف العالي (أي بيت السَّراة) ــ: الطِّراف: الخيمة.

مَات مَنْ لوْ عاش فِي سِرْبَالِـــــهِ
غلبَ النُّورُ عليهِ فاتَّقــــدْ(1)

سَيِّدٌ قوبِل فيه مَعْشــــــر
ليْسَ في أَبنائِهِمْ مَنْ لمْ يَسُــدْ

نافسَ الدَّهْرُ عليهِ يَعْـــــرُبًا
فرأى مَوْضِعَ حِقْدٍ فحَقــــدْ

هابَ أنْ يُجريَ عليه حُكْمَــــهُ
فنوَى الغدْرَ لهُ يَوْمَ وُلِــدْ

حَيثُ لمْ يُنْظِر بِهِ رَيْعانُـــــهُ
إنَّما استعْجَلهُ قبْل الأَمَــدْ

أَقْصَدَتْهُ تِرْبَ خمْسٍ أسْهُـــمٌ
لوْ رَمَتْهُ تِرْبَ عَشْرٍ لمْ تكــدْ(2)

ونشْرْنا عَنْ رِدَاءَيْهِ لـــــهُ
صارِمًا يُذكي ورُمْحًا يَطَّــرِدْ(3)

وَرَجَوناه مَلاذًا لِلـــــوَرَى
وَدَعَوناهُ عَتادًا للأَبَـــدْ

لا رَجاءَ في خُلودٍ كُلُّنـــا
وارِدُ المـــاءِ الذي كان وَرَدْ

---

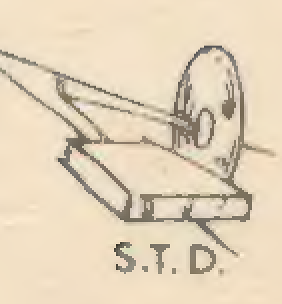
1) السِّرْبال : الدِّرع والضّمير في عليه يعود إلى السِّربال .
2) ترب خمس : أي ابن خمس سنوات .
3) يُذكي : يشتدّ لهيبه ـ يطّرد : يتبع بعضُهُ بعضاً أي سهام متلاحقه يرشق بها الزمان الناس .

الفهرس

طبع بمصنع الكتاب
للشركة التونسية للتوزيع ـ تونس
جـــوان 1976
0102 ـ 76 ـ 0016

الشركة الوطنية للنشر والتوزيع
3 شارع يوسف زيروت

5,50 د ج



الشركة التونسية للتوزيع
5 شارع قرطاج تونس

0,550 د ت